بستان العارفين

تأليف

الإمام العالم العلامة

أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي

المتوفى سنة ٦٧٦هـ

دار الريان للتراث

بستان العارفين

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

القاهرة

دار الريان للتراث

- ٣٥٠ شارع الأهرام ت ٨٥٤٦٨٧ جيزة
- ١٧٧ شارع الأهرام محطة إسباتس - جيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . الحمد لله الواحد القهار . العزيز الغفار . مقدر الأقدار . مصرف الأمور مكور[1] الليل على النهار . تبصرة لأولى القلوب والأبصار . الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار وفق من اختار من عبيده فجعله من الأبرار . وبصر من أحبه للحقائق[2] فزهدوا في هذه الدار . فاجتهدوا في مرضاته والتأهب[3] لدار القرار . واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار.

أحمده حمداً على جميع نعمائه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله إقراراً بوحدانيته ، واعترافاً بما يجب على الخلق كافة من الاذعان لربوبيته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه المصطفى من خليقته ، وأكرم الأولين والآخرين من بريته[4] ، أكرم الخلق وأزكاهم وأكملهم وأعرفهم بالله تعالى وأخشاهم وأعلمهم به وأتقاهم وأشدهم اجتهاداً وعبادة وخشية وزهادة ، وأعظمهم خلقاً ، وأبلغهم بالمؤمنين تلطفاً ورفقاً ، صلوات

---

(١) تكوير الليل تغشيته أي يدخله على النهار وأصله من تكوير العمامة وهو لفها اهـ لسان

(٢) جمع الضمير في زهدوا مراعاة لمعنى من وأفرده في أحبه مراعياً لفظها كما في قوله تعالى ﴿ من يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴾

(٣) التأهب . الاستعداد

(٤) البرية المخلوقات

الله وسلامه عليه وعلى النبيين وآل كل وصحابتهم أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

(أما بعد) ، فإن الدنيا دار نفاد لا دار إخلاد ، ودار عبور لا دار حبور[1] ، ودار فناء لا دار بقاء ، ودار انصرام لا دار دوام ، وقد تطابق على ما ذكرته دلالات قواطع النقول وصحائح العقول ، وهذا مما استوى في العلم به الخواص والعوام ، والأغنياء والطغام ، وقضى به الحس والعيان حتى لم يقبل الوضوحة إلى زيادة في العرفان :

وليس يصح في الأسماع شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ولما كانت الدنيا بالحال التي ذكرتها ، والعظة التي قدمتها جاء في القرآن العزيز من التحذير من الركون إليها والاغترار بها والاعتماد عليها ما هو أعرف من أن يذكر وأشهر من أن يشهر ، وكذلك جاءت الأحاديث النبوية والآثار الحكمية ، فلهذا كان الايقاظ من أهلها العباد ، وأعقل الناس فيها الزهاد[2] ولقد أحسن القائل في وصفها :

---

(١) الحبور : النعمة وسعة العيش ومنه قوله تعالى : ﴿ أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ أي يكرمكم الله بسعة العيش إكراماً يبالغ فيه وهذا لا يمكن أن يحصل لسائر في طريقه يعدو ليصل إلى هدف لم يبق بينه وبين مطلبه إلا العبور على جسر الحياة القصيرة الفانية ومقدمة الحياة الخالدة بل يحصل لمن عبر جسر الحياة وهو راض عنه ربه ولهذا قابله بدار العبور ليعلم المؤمن حقاً أن هذه الدار ليست محلاً للعيش الرغد فلا يجزع ولا يحزن إذا ضاق به الأمر ولم يثمر سعيه ما يريده ويتطلبه .

(٢) المراد من الزهاد الجماعة الذين لم تستو الدنيا على قلوبهم ولم يدفعهم الطمع إلى الاضرار بالناس أو اختلاس أموالهم والاستيلاء عليها بغير المشروع مع سعيهم بأبدانهم وكسبهم بأتعابهم كما كان عليه الرسول الأعظم ﷺ وأصحابه الكرام لا الزاهد الذي ينفر من العالم ويعتزل عنهم حتى يكون كأحد البهائم أو أنه يكتفي بالانزواء في داره أو زاويته مرتقباً بعينه وقلبه صدقة من فضلات الناس يأتيه بها غيره فقد قال ﷺ « اليد العليا خير من اليد السفلى » والمعطي هو الزاهد لأن نفسه سمحت له بالتصدق في أوساخ المال لا الآخذ الحريص فإن دين الإسلام دين العمل لا دين الكسل فقد قال تعالى : ﴿ وأن ليس للانسان إلا ما سعى ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ وما جاء من التحذير من الاعتماد على الدنيا فإنه خاص بالقلب لينتظم أعمال الناس إذا صفا القلب وانقطع الطمع . والجشع علة الظلم والاستبداد .

أنظر إلى الأطلال[1] كيف تغيرت — من بعد ساكنها وكيف تنكرت
سحب البلا أذياله برسومها — فتساقطت أحجارها وتكسرت
ومضت جماعة أهلها لسبيلهم — وتغيبت أخبارهم وتنكرت
لما نظرت تفكراً لديارهم — سحت[2] جفوني عبرة وتحدرت
لو كنت أعقل ما أفقت من البكا — حسبي هناك ومقلتي ما أبصرت
نصبت لنا الدنيازخارف حسنها — مكراً[3] بنا وخديعة ما فترت
وهي التي لم تحل قط لذائق — إلا تغير طعمها وتمررت
خداعة بجمالها إن أقبلت — فجاعة بزوالها إن أدبرت
وهابة سلابة لهباتها — طلابة لخراب ما قد عمرت
وإذا بنت أمراً لصاحب ثروة — نصبت مجانقها عليه فدمرت

وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره — فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة — وإن أقبلت كانت كثيراً همومها[4]

---

(١) الأطلال : ما بقي من آثار الديار .

(٢) سحت العين : جادت بالدمع وصبته بكثرة .

(٣) لم تمكر الدنيا بنا حقيقة لأن ما تريه لنا من الزخارف لا يلبث إلا يسيراً ويزول وقد انخدع أسلافنا قبلنا ونحن مراراً فإذن نحن نخدع أنفسنا بإهمالنا العقل الذي وهبه الله لنا كي نفرق بين صحيح الأمور وفاسدها فلم نعتبر بأسلافنا ولا بأنفسنا ولو وجدت الدنيا معنا مجالاً للتفكير لأحجمت عن نصب الزخارف إذ أن كل ما لديها ابن ساعته ولم تحتفظ بالماضي أصلاً فكأنها تقول لك بلسان فصيح ، غش نفسك بالاقبال على الفاني والاعراض عن الباقي وأبعد عقلك عنك ولا تلتفت الى غير المشروع فإنك إن التفت اليه عرض لك قول الرسول الأعظم ﷺ : « المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين » وقد خدعتك مراراً .

(٤) أي عند استيلائها على القلوب وإلا فان من عرف قيمة الدنيا وأنها خلقت مزرعة للآخرة أو وسيلة لها وأن ما يجمعه من حطام الدنيا محنة واختبار له يجب أن يصرفه فيما خصص له وما وضع يده على الأموال إلا كما وضع سلفه قبله لا شك أنه يكون مستريح البال في الدنيا سعيداً في الآخرة حيث يستطيع جمع أجور عظيمة وكسب أرباح طائلة بمعاونته للفقراء ومعاضدته للمشاريع العامة إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم ذنوبكم وهذا ما كان عليه سيدنا سليمان عليه السلام والمقربون من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

فإذا علم ما ذكرته وتقرر ما وصفته كان حقاً على الانسان أن يسلك طريق العقلاء ويذهب مذهب البصراء فنسأل الله الكريم الرؤوف الرحيم أن يمن علينا بذلك ويهدينا إلى أرشد المسالك ، وها أنا شارع في جمع كتاب يكون مبيناً لسلوك الطريق التي قدمت وسبيلاً إلى التخلق بالأخلاق الجميلة التي وصفت ، أذكر فيه إن شاء الله تعالى جملاً من نفائس اللطائف وحقائق المعارف ، وأنثر ما ذكره فيه نثراً ليكون أبعد لمطالعه عن الملل وأقرب للذكرى ، ولا التزم فيه ترتيبه على الأبواب فإن ذلك مما يجلب الملل للناظر في الكتاب ، وأذكر فيه إن شاء الله تعالى من الآيات الكريمات والأحاديث النبويات وأقاويل السلف المنيرات ، ومستجاد[1] لمأثور عن الأخيار من عيون الحكايات والأشعار المستحسنة الزهديات ، وأبين في أكثر الأوقات صحة الأحاديث وحسنها وحال روايتها ، وبيان ما يخفى ويشكل من معانيها[2] وأضبط ما يحتاج إلى تقييد حذراً من التصحيف[3] وفراراً من التغيير والتحريف[4] .

ثم إني أذكر ما أذكره بإسنادي فيه ، لكونه أوقع في نفوس مطالعيه ، وقد أحذف الاسناد للاختصار وخوفاً من التطويل والاكثار ، ولكون هذا الكتاب موضوعاً للمتعبدين ومن ليسوا إلى معرفة الاسناد بمحتاجين بل يكرهونه معظم الحالات لما يلحقهم بسببه من السآمات[5] ، وأكثر ما أذكره مما أرويه بحمد الله وفضله بالأسانيد المشهورة المعروفة من الكتب الظاهرة المتداولة المعروفة ، وإذا كان في الحديث أو الحكاية لفظة لغة أو إسم شخص قيدتها وأوضحتها بالضبط المحكم وأتقنتها ، وما احتاج فيها إلى شرح شرحته وما كان معرضاً لأن يغلط في معناه بينته ، ويندرج في ضمن هذا الكتاب إن شاء

---

(١) المستجاد الجيد المطلوب .

(٢) المعاني بضم الميم من عاناه إذا قاسى مداراته وتحمل التعب في الحصول عليه .

(٣) التصحيف هو تغيير اللفظ ليتغير المعنى وغالب التصحيف يكون من الصحفيين بفتحتين نسبة إلى الصحيفة المكتوبة لأنه يأخذ العلم منها دون المشايخ .

(٤) التحريف : هو تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها مع قرب الشبه .

(٥) السآمة : الملل .

الله تعالى أنواع في العلوم الشرعية ، وجمل من لطائفها الحديثية والفقهية والآداب الدينية ، وطرف من علم الحديث ودقائق الفقه الخفية ، ومهمات من أصول العقائد ، وعيون من نفائس القواعد ، وغرائب لطيفة مما يستحسن في المذكورات ، ويستحب ذكره في مجالس الجماعات ، ومعارف القلوب وأمراضها وطبها وعلاجها ، وربما يجيء شيء يحتاج إلى بسط لا يحتمله هذا الكتاب ، فأذكر مقصوده مختصراً ، أو أحيل بسط شرحه إلى كتاب بعض العلماء ذوي البصائر والألباب وربما أحلته على كتاب صنفته أنا ، ولا أقصد بذلك إن شاء الله تعالى التبجح والافتخار ، ولا إظهار المصنفات والاستكثار ، بل الارشاد إلى الخير والاشارة إليه ، وبيان مظنته[1] والدلالة عليه ، وإنما نبهت على هذه الدقيقة لأني رأيت من الناس من يعيب سالك هذه وذلك لجهالته وسوء ظنه وفساده ولحسده وقصوره وعناده ، فأردت أن يتقرر هذا المعنى في ذهن مطالع هذا التصنيف ، وليطهر نفسه من الظن الفاسد والتعنيف[2] وأسأل الله الكريم توفيقي لحسن النيات والاعانة على جميع أنواع الطاعات وتيسيرها والهداية لها دائماً في ازدياد حتى الممات ، وأسأله ذلك لجميع من أحبه ويحبني لله تعالى وسائر المسلمين والمسلمات وأن يجمع بيننا وبينهم في دار كرامته بأعلى المقامات وأن يرزقنا رضاه ، وسائر وجوه الخيرات ، اعتصمت[3] بالله ، استعنت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم إني أسألك بكل وسيلة ، وأتشفع إليك بكل شفيع أن تنفعني وأحبابي والمسلمين أجمعين ، بهذا الكتاب نفعاً عاماً بليغاً ، يا من لا يعجزه شيء ، ولا يتعاظمه[4] أمر وهذا حين شروعي في مقصود الكتاب .

---

(١) المظنة : بكسر الظاء موضع يظن فيه وجود ذلك الشيء المطلوب .

(٢) التعنيف : اللوم بعنف ، أي ضد الرفق وبشدة .

(٣) اعتصمت : امتنعت به واستمسكت .

(٤) تعاظم : عظم عليه وصعب .

باب

(في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة)

قال الله تعالى : ﴿ وَما أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ[1] وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ معناه الملمة المستقيمة وقيل القائمة بالحق والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ ومَنْ يَخْرُجْ منْ بيْتِهِ مُهاجِراً إلى اللّهِ ورَسولِه ثم يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقدْ وَقَعَ أَجْرُه عَلى اللّهِ ﴾ .

---

(١) حنفاء : جمع حنيف وهو المسلم الذي يتحنف عن الأديان ، ويميل إلى الحق ولم يلتو في سلوكه لأن الحنيف المستقيم : وقد قيل :

تعلم أن سيهديكم إلينا   طريق لا يجوز بكم حنيف

فقيدت العبادة بالاخلاص المنوط فعله بالقلب والباطن والحنيف الذي هو الاستقامة الظاهرة إشارة إلى أن المسلم يجب أن تكون أعماله الظاهرة عنواناً لما هو منوط عليه بل يحكم عليه بموجبها لأن شق القلب والاطلاع على ما فيه ليس من مقدورات البشر ولا من وسعهم لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وأن احتمال حسن حال السيء الأعمال والتارك لأوامر الله ليس من الدين الاسلامي في شيء ، وأن احتمال أن يكون عند الله مقبولاً دعاية نشرها الدساسون ليبعدوا الشبه عن أنفسهم فشريعتنا قيدت صلاح الحال ومظنة الولاية بمن اتقى الله وعمل بما أمر وانتهى عن كل ما نهاه ولهذا أتى بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ فمجرد دعوى الاسلام بدون أن يعمل وفق أحكامه استهزاء بالدين وعبث بالشريعة وتحقير للمسلمين ، ولا يعقل أن عصيان الإله مقبول عنده ولربما يكون من أوليائه كيف وقد أوعد العصاة بعذاب جهنم : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ﴾ فالكرامة والولاية والقبول هي لمن اتقى الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى ﴾

وقال تعالى : ﴿ ربُّكُمْ أعْلمُ بمَا في نُفوسِكمْ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَنالَ اللَّهَ لحُومُها وَلا دِمَاؤُهَا وَلكِنْ ينالُه التَّقْوَى مِنْكمْ ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه ولكن يناله النيات منكم ، وقال إبراهيم التقوى ما يراد به وجهه ، وقال الامام أبو الحسن الواحدي قال الزجاج المعنى لن يتقبل الله الدماء واللحوم وإذا كانتَ من غير تقوى الله تعالى وإنما يتقبل منكم ما ستتقونه به وهذا دليل على أن شيئاً من العبادات لا يصح إلا بالنية وهو أن ينوي به التقرب إلى الله تعالى وأداء ما أمر به .

أخبرنا شيخنا الإمام الحافظ أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعيد بن الحسن بن المفرج بن بكار المقدسي النابلسي الشافعي رضي الله عنه قال أخبرنا أبو اليمن الكندي أخبرنا محمد بن عبدالباقي الأنصاري أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري أخبرنا أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن سليمان الواسطي حدثنا أبو نعيم عبد بن هشام الحلبي عن ابن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله ﷺ « إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرِىءٍ ما نَوى ، فمَنْ كانتْ هِجْرتُه إلى اللّهِ ورسولِهِ فهِجرَته إلى اللّهِ ورَسولِهِ ، ومَنْ كانتْ هِجْرتهُ إلى دنْيا يُصيبُها أو امرأةٍ يتزَوَّجها فَهجْرَته إلى مَا هاجرَ إليْه » هذا حديث متفق على صحته مجمع على عظم موقعه وجلالته وهو أحد قواعد الإيمان وأول دعائمه وأشد الأركان وهو حديث فرد غريب باعتبار مشهور باعتبار آخر ومداره على يحيى بن سعيد الأنصاري : قال الحافظ لا يصح هذا الحديث عن النبي ﷺ إلا من جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا عن عمر إلا من جهة علقمة ولا عن علقمة إلا من جهة إبراهيم بن محمد التيمي ولا عن محمد إلا من جهة يحيى بن سعيد وعن يحيى انتشرت روايته عن أكثر من مائتي إنسان أكثرهم أئمة ورواه الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري

رحمه الله في صحيحه في سبعة مواضع فرواه في أول كتابه ثم في الإيمان ثم في النكاح ثم في العتق ثم في الهجرة ثم في ترك الحيل ثم في النذر ، ثم أن هذا الحديث روي في الصحيح بألفاظ : إنما الأعمال بالنيات ، إنما الأعمال بالنية ، وأما الذي وقع في أول كتاب الشهاب ، الأعمال بالنيات وحذف إنما ، فقال الحافظ أبو موسى الأصبهاني لا يصح إسناد هذا ، وأما معنى النية فهو القصد وهو عزم[1] القلب ، وإنما لفظة موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفي ما عداه ، فمعنى الحديث لا تصح الأعمال الشرعية إلا بالنية ، ومن قصد بهجرته[2] رضاء الله تعالى ، ومن قصد بها الدنيا فهي حظه ليس له

---

(١) قوله عزم القلب : أي النية شيء يعود إلى القصد في القلب لا إلى اللسان والتكلم وقد جعل بعض الفقهاء من كمال العبادة النطق بها وأنه سنة في الصلاة مع أن أصل مذهب الشافعي هو مقارنة النية لأول الفعل إلا ما لا تمكن فيه المقارنة كالصوم وأول الصلاة تكبيرة الاحرام فكيف يمكن أن يلفظ بالنية مع أنه متكلم بالتكبير ، وأما النطق قبل التكبير فإن الصلاة لم تنعقد وقتئذ ولو قلنا بالمساعدة للقلب فقد أخرجوها عن أصلها المطلوب ، فتجد للمصلين ضجة في نيتهم حتى أنه قد يصادف الانسان في الجماعة الكبرى أن يركع الامام ولا يعلم به المصلون لانشغالهم عن الامام بضوضاء النية والتكبير بشكل لا يتناسب مع السكينة التي طلبتها الشريعة من المصلي لوصوله إلى حالة هو أقرب ما يكون فيها إلى ربه ولم تنقل لنا السنة ولا كتب السير أن الصحابة أو السلف الصالح كانت عندهم هذه الضجة الموجودة اليوم في الجوامع عند الصلوات فهي ليست واردة في الشرع ولا تليق باستكانة العبد وخضوعه في الصلاة كما أنها تنافي الآداب لوقوفه بين يدي ربه وليت شعري لو وقف أمام ملك أو أمير هل يستطيع أن يحدث مثل هذه الضوضاء ؟ أظنه يخلد إلى الخنوع والسكوت عن كل ما زاد عن الحاجة ، أما كان أحرى به أن يفعل مثل هذا في صلاته ؟ وقد يبلغ الشك من بعضهم أن يعيد الصلاة مراراً ظناً منه أن قد فسدت لأنه شك في النية وما درى الفقير أن مراد الشارع من نيته هو قصده وتوجه عزمه إلى فعلها .

(٢) قوله بهجرته وهل تصدق الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الاسلام فلا يحل للمسلم الاقامة بدار الكفر ؟ بعد أن استولى الكفار على معظم بلاد المسلمين وحكموها فعلاً وبقية البلاد احتلوها بنفوذهم لأن المكابرة بإنكار ذلك لا تجدي المسلمين نفعاً ؟ نقل المصنف رحمه الله في شرحه لهذا الحديث في الأربعين النووية عن الماوردي أن من صار له بدار الكفر أهل وعشيرة وأمكنه إظهار دينه لم يجز له أن يهاجر لأن المكان الذي هو فيه صار دار إسلام ا هـ وهذا الحكم أحسن خطة لتغلغل الاسلام في بلاد الكفر إذا كان الدعاة غير مهددين بخطر فإن حالتنا التي وصلنا إليها من استيلاء الكفار على بلادنا ما كانت إلا بواسطة الأشخاص الذين كانوا يقطنون بيننا كمهاجرين يطلعون أهل ملتهم على عوراتنا ودخائلنا حتى صاروا أعرف منا بأنفسنا وتاريخنا ، أترك الأشخاص الذين استمالوهم لطرفهم وحببوهم بملتهم فعشقوها وتمنوا أن =

غيرها ، وفي هذا الحديث اشتراط النية في الوضوء وغيره والغسل والتيمم والصلاة والزكاة والصوم والاعتكاف والحج وغيرها ، قال أمامنا أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه . وقال أيضاً يدخل في هذا الحديث ثلثي العلم . وقال أبو عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يدخل فيه ثلث العلم وكذا ذكره أيضاً غيرهما قال الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في أول كتابه مختصر السنن معنى قول الشافعي رضي الله تعالى عنه يدخل فيه ثلث العلم أن كسب العبد إنما يكون بقلبه ولسانه ونياته . والنية أحد أقسام كسبه وهي أرجحها لأنها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين لأن القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء ولا يدخل النية . واستحب العلماء رضي الله تعالى عنهم أن تستفتح المصنفات بهذا الحديث وممن ابتدأ به في أول كتابه الإمام أبو عبدالله البخاري رحمه الله في أول حديثه في صحيحه الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى . وروينا عن الامام أبي سعيد عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله قال لو صنفت كتابا بدأت في أول كل باب منه بهذا الحديث . وروينا عنه أيضاً قال من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث . وروينا عن الامام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي رحمه الله فيما قرأته في أول كتابه الاعلام في شرح صحيح البخاري قال كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث الأعمال بالنية أمام كل شيء ينشأ ويبتدأ من أمور الدين لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها . وبلغنا عن جماعات من السلف رضي

= تحكم البلاد وتغدق عليهم النعم التي كانت الدعاة تغشهم بها ولربما تجد من الكفار كثيراً من شغل منصباً دينياً كبيراً بقي مداوماً عليه حتى كشفته الحرب العامة وليتنا فعلنا مثلهم وعملنا بما قاله الماوردي إذاً لعرفنا دخائلهم وما ينطوون عليه من الحقد على الاسلام لندري السبل التي ينهجونها في إفساد المسلمين والاستيلاء على عقولهم ولا ينبغي أن نيأس الآن من إعادة عز الاسلام الماضي بل إن الاسلام لا يجوز الاستسلام والجبن فهو في كل الحالات يدعو إلى الجرأة والشجاعة والقوة المعنوية في الاقبال والادبار وحيث قد عرفنا أن هذا الطريق كان سبباً قوياً في إضاعة قوتنا واستيلاء العدو علينا فالواجب يقضي أن توجد في أوروبا وأميركا جماعات من دعاة الاسلام يقطنونها ويتبعون الخطة التي سلكوها هم قبلنا ما دامت حرية الدين محفوظة وحياة الساكن ليست في خطر .

الله تعالى عنهم أشياء كثيرة من نحو هذا من الاهتمام بهذا الحديث والله أعلم . وهي أن إسناده شيء يستحسن ويستغرب عند المحدثين وهي أن رواته اجتمع فيهم ثلاثة تابعيون يروي بعضهم عن بعض وهم يحيى بن سعيد الأنصاري ومحمد بن إبراهيم التيمي وعلقمة بن وقاص وهذا وإن كان مستظرفاً فهو كثير في الأحاديث المستظرفة الصحيحة يجتمع ثلاثة تابعيون بعضهم عن بعض وأربعة تابعيون بعضهم عن بعض . وقد جمعها الحافظ عبدالقادر الرهاوي رحمه الله في جزء صنفه فيها وأنا أرويها وقد اختصرتها في أول شرح صحيح البخاري[1] رحمه الله . وضممت إليها ما وجدته مثلها فبلغ مجموعها زيادة على ثلاثين حديثاً والله أعلم . ومما ينبغي الاعتناء به بيان الأحاديث التي قيل إنها أصول الإسلام وأصول الدين أو عليها مدار الاسلام أو مدار الفقه والعلم فنذكرها في هذا الموضع لأن أحدها حديث الأعمال بالنية ولأنها مهمة فينبغي أن تقدم وقد اختلف العلماء في عددها اختلافاً كثيراً وقد اجتهد في جمعها وتبيينها الشيخ الإمام الحافظ أبو عمرو وعثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح رحمه الله تعالى ولا مزيد على تحقيقه وإتقانه فأنا أنقل ما ذكره رحمه الله مختصراً. وأضم إليه ما تيسر مما لم يذكره فإن الدين النصيحة[2] : ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها فمن

---

(١) كتب المؤلف رحمه الله تعالى على صحيح البخاري إلى كتاب العلم فقط ولم يكمل وقد وفقنا الله تعالى إلى طبعه فنحمد المولى تعالى ذكره على ذلك .

(٢) وكان رسول الله ﷺ جعل من جاء مسلماً موقوفة الصحة على النصح للمسلمين علاوة على أمره بذلك المرات العديدة في الأحاديث المختلفة وممن بايع النبي ﷺ على النصح جرير بن عبدالله البجلي فإنه خطب بالكوفة يوم وفاة المغيرة بن شعبة سنة خمسين من الهجرة فقال : أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ وقلت أبايعك على الإسلام فشرط علي النصح لكل مسلم فبايعته على ذلك ا هـ ورواه البخاري أيضاً في آخر كتاب الإيمان وذلك لأن نصحك لشخص دليل على حبك له فتريد أن يقدم على ما فيه له النفع ويحجم عما فيه المضرة فمتى انتشر حب المسلمين بعضهم بعضاً وعم إخلاص النصح فإن القوة والنصر والتأييد تحف بهم وهذا هو السر الذي جعل المسلمين بعد وفاة نبيهم ﷺ يغلبون الرومان والفرس ويستولون على معظم بلاد العالم لأن شدة النصح جعلتهم يضعون نصب أعينهم آية ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ثم فنوا في هذه المرتبة إلى أن تحققوا بحديث « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى إليه سائر الجسد بالحمى والسهر » وهذا هو منتهى القوة التي لا يمكن أن تعارض =

فعل ذلك بورك له في علمه وحاله ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه[1] ولا يبارك له في حال . ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائماً .

قال الشيخ أبو عمرو[2] رحمه الله بعد أن حكم أقوال الأئمة في تعيين الأحاديث التي عليها مدار الاسلام واختلافهم في أعيانهم وعددها فبلغت ستة وعشرين حديثاً .

(أحدها) حديث ، إنما الأعمال بالنيات .

(الثاني) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما لَيْسَ منهُ[3] فَهُو ردٌّ » .

= أو تجادل إذ أن صلابة المعادن تابعة لشدة تماسكها والتصاقها وما قوة الحديد على غيره من المعادن وتأثيره فيها إلا لصفائه وخلوه عن المعادن التي لا تناسبه ولشدة ارتباط أجزائه ببعضها وإن الطين إذا إمتزج يكون قوة لا يستهان بها فقوة المسلمين لا تحصل إلا بالحب ونصحهم لبعضهم .

(١) وأن من ينسب كلام الغير لنفسه جدير أن لا ينتفع به لأنه خان الأمانة وهي تادية العلم إلى مستحقه وإسناد القول لقائله ومن المعلوم أن الخيانة ما دخلت عملاً إلا وأفسدته ونزعت منه الخير والبركة ولا يبعد أن يسلط الله على ذلك الناسب من يأخذ الفوائد التي يجوز أن يكون أدركها هو أن يتخذ لهاوينسبها لنفسه لأن الجزاء من جنس العمل ولا جدال بأن سلوك هذه الخطة من أهم أسباب تأخر العلم بقطع سلسلته وإضاعة حق المؤسسين ومجد السلف فتبقى قيمة الفائدة منوطة بمن زعمها وقد يكون السبب في عدم رواجها خصوصاً وأن النفس مولعة بالركون إلى القديم للاستناد والوثوق وأما الجديد فالتعلق به من حيث الاستعمال الذي لا يلبث أن يزول ولا يصلح لأن يكون حجة أو ممسكاً . وأن مجازاة من منحك فائدة أن تدعيها لنفسك نكران للجميل وبالأولى امتناع عن الحمد والشكر الواجب الأداء للمنعم .

(٢) أي ابن الصلاح .

(٣) قوله ما ليس منه أي الذي لا يطبق على روح الدين فهو باطل لا يقبل وليس معناه البقاء على الحال السابقة فإن هذا خلاف سنة الله في خلقه من التطور وإن الثبات لا يكون إلا على ما يتعلق بالعبادة وأما الحوائج والشئون فيقبل منها كل ما لا يضر بالدين أو لا يمس المسلمين بسوء ولا يأتيهم من جهته أذى ولو بعد زمن طويل ألا ترى إلى النبي ﷺ لما أشار عليه سلمان الفارسي بالخندق قبل رأيه وكان ﷺ يحفر فيه بنفسه مع أن هذا لم يوجد عند العرب ولم يعرفوه ولكن لما كانت الغاية شريفة وهي محافظة المسلمين من شر الأعداء فعله ﷺ وسيدنا =

هذا حديث متفق على صحته رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا » ومعنى رد مردود كالخلق بمعنى المخلوق .

(الثالث) عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما :

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الحَلالَ بيِّنٌ والحرامَ بيِّنٌ ، وبَيْنَهُما مُشْتَبَهاتٌ لا يَعْلمهُنَّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ اسْتَبرَأ لِدينِهِ وعِرْضِهِ[1] ومَنْ وقَعَ في الشُّبهاتِ وَقَعَ في الحَرامِ كالرَّاعي يَرْعى حوْلَ الْحِمى يوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فيهِ ألاَ وإنَّ لِكلِّ مَلكٍ حِمًى ، ألاَ وإنَّ حِمى اللّهِ مَحَارِمُه ، ألاَ وإنَّ في الْجسدِ مُضْغةً إذَا صلَحتْ صلَحَ الجسَدُ كلُّه ، وإذا فسدَتْ فسَدَ الجسَدُ كلُّه ألاَ وهيَ القَلْبُ » .

هذا حديث متفق على صحته ، رويناه في صحيحيهما يوشك بضم الياء وكسر الشين المعجمة أي يسرع .

= عمر لما رأى أن الدسائس بدأت تدخل على المسلمين منع السفر إلى الجهات إلا بإذن منه لمدة معينة بوثيقة عليها توقيعه وهذا ما يسمونه الآن بجواز السفر ولما رأى أن المسلمين لا تاريخ يحفظ لهم وقائعهم وحقوقهم اتفقوا على اتخاذ التاريخ الهجري وكذلك دواوين المسلمين وأرزاقهم دونها سيدنا عمر وهذه كلها لم تكن في عصر الرسول ﷺ إلا أنها كانت لمصلحة المسلمين فقبلها الصحابة الكرام بكل بسط وانشراح . فالغاية الحقيقيةمن أمره ﷺ اتباع كتاب الله وسنة الرسول والنظر لمصلحة المسلمين والباطل المردود هو كل ما خالف المشروع والمأثور أو ينجم عنه أذى يعود على المسلمين .

(١) قوله وعرضه لأنه إذا فعل الشبه جعل للسفهاء طريقاً للتطاول عليه بالافتراء والغيبة ونسبوه إلى فعل الحرام فجعل عرضه هدفاً للتناول والقدح والطعن والقذف وصار سبباً لوقوعهم في الاثم وقد ورد عنه ﷺ أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم . وقال علي كرم الله وجهه إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره فرب سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً . وقد يتدرج إلى أن يصل إلى الحرام كالمثال الوارد في الحديث الشريف لأنه يصل إلى حالة لا يستطيع أن يحول دون وقوع نفسه في هاوية الحرام مهما كان قوي الإرادة متين العزيمة وإليه أشار الحديث « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الجمل فتقطع يده » أي يتدرج من البيضة إلى الجمل إلى نصاب السرقة فلا يصدر فعل إلا وقد سبقته مقدماته أو تكرر مرات عديدة قال تعالى ﴿ وقتلهم الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء اهـ مصنف على الأربعين بتصرف .

(الرابع) عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه :

قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق : « إنَّ أحَدكم يُجْمعُ خَلْقه في بطنِ أمِّه أرْبعينَ يوماً نُطفةً ثمَّ يكونُ عَلقةً مِثْلَ ذلكَ ، ثمَّ يكونُ مِنْ ذاكَ مُضْغَةً مثْلَ ذلكَ ، ثمّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنفُخُ فيهِ الرُّوحَ ويُؤْمَرُ بأرْبعِ كلِماتٍ بكَتْبِ رزْقهِ وأجَلهِ وَعملهِ ، وَشقيٌّ أوْ سعيدٌ ، فوالذي لا إلهَ غيرُهُ إنَّ أحَدكم لِيَعْملُ بعَملِ أهلِ الجنَّةِ حتَّى ما يكونُ بيْنَه وبيْنَها إلاّ ذراعٌ فيَسْبقُ علَيْهِ الكتابُ فيَعْمَلُ بعَمَلِ [1] أهلِ النَّارِ فيَدْخلُها وإنَّ أحَدكمْ ليَعْملُ بعَملِ أهْلِ النَّارِ حتَّى ما يكونُ بَيْنَه وبيْنَها إلاَّ ذِراعٌ فيَسْبقُ عليْهِ الكِتابُ فيَعْملُ بعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ فيَدْخُلها » رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما قوله بكتب بالباء الموحدة الجارة .

(الخامس) عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ : « دَعْ ما يَريبُكَ إلى ما لاَ يريبُكَ »[2] .

---

(١) قوله فيعمل بعمل أهل النار أي ظاهراً أو صرفاً بعد أن كان مشوباً . قال المصنف في شرح الأربعين على هذا الحديث إن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائماً إلا بخير وأن خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة ويدل عليه الحديث الآخر « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس » أي فيما يظهر لهم من صلاح ظاهره مع فساد سريرته وخبثها والله تعالى أعلم ا هـ . وأما من يعمل بعمل أهل النار فيجوز أن يكون عنده من الإخلاص للاسلام والمسلمين ما يزيد على العبادة وأنتجت أعماله شيئاً كثيراً من المنافع العامة التي هي مقصودة للشارع ولكن من غير العبادة الشخصية التي تظن أنها الكل في الكل فنعمة من الله عليه ومكافأة لما أجراه من الأفعال الحسنة والخير وكف الأذى وفقه الله إلىَ العمل الذي هو عنوان النجاح فيما يبدو للناس فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه .

(٢) قوله ما لا يريبك مما تركن إليه النفس ويطمئن إليه الفؤاد ويستريح له القلب لأن الحس ناصح للمرء ولذا جاء في حديث وابصة « استفت قلبك وإن أفتاك المفتون » لأن المرء أدرى بدخائل نفسه والروح تفر من المؤذي إذا لم تتدنس بالآثام وإذا صقلت بالتقوى لا تميل إلا إلى النافع المرضي لله ولرسوله .
وذلك لينصرف كل إلى عمله الذي خصص له أو وافق ذوقه وقابليته فإن انصراف المرء إلى البحث عن كل ما لا علاقة له به يمنعه من إنتاج أي عمل كان فيختل النظام وتسود الفوضى =

حديث صحيح رواه أبو عيسى الترمذي وأبو عبدالرحمن النسائي ، قال أبو عيسى الترمذي حديث صحيح . وقوله : يريبك بفتح أوله وضمه لغتان الفتح أشهر .

(السادس) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ومِنْ حسنِ إسلامِ المرءِ تركهُ ما لا يعنيهِ »[1] حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجة .

(السابع) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ « لا يؤمنُ أحدكم[1] حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه » متفق على صحته .

= بالأعمال لأن إباحة هذا الفعل المذموم لشخص تجويزه للجميع فالشريعة الإسلامية جاءت عامة لا تستثني في أحكامها أحداً ولا فضل لواحد على الثاني إلا بالتقوى والامتثال لأمر الله تعالى فمتى اشتغل كل بما لا يعنيه فسدت الأمور وفقد التوازن وهذا هو أحد الأسباب التي اقعدتنا الآن وجعلتنا آلة مسخرة للغير ولكن لا يرد على خاطرك أن هذا الحديث فيه أمر بعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمعاذ الله أن يكون ذلك لأنه أمر يعني المسلمين قطعاً حيث أن الضرر الذي يحصل من انتشار المنكر لا يخص شخصاً دون آخر فهو أشبه بالمرض الساري وأظن أن الذين يعترضون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوافقون على بناء المحاجر الصحية ووضع البلدان تحت المراقبة إذا اشتبهوا بوجود أوبئة فيها . ومن المسلم أن الأمراض النفسية أشد فتكاً في جسم الأمة من الأمراض الظاهرية إذ هذه محسوسة فيفر منها الإنسان أو يتخذ لها الاحتياطات وأما تلك فلا ترى وتسير مواكبها بانتظام ولا علم لأحد بجيوشها الجرارة المهلكة فما لا يعني مراد به التداخل في أمور لا نفع يعود عليه وعلى أمته منها ولا ضرر وأما ما فيه منفعة أو مضرة فإنه يعني قطعاً فلو رأيت جارك يحرق داره لا تقول ما يعنيني إذا كانت دارك معروضة لانتهاب لهب الحريق إياها .

(١) قوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه الخ لأن الدين لم يدع إليه شخص واحد أو أنه حق فرد معين فالمسلمون أمام الدين كلهم بنظر واحد فإذا لم يحب رفيقه فأما لدنياه فيكون قد رجح الدنيا على الدين وأما لدينه فيكون حسوداً طالباً لازالة ما عليه أخوه غير راض بما قسم الله له وإن المسلمين بمثابة جسد واحد فعدم المحبة علامة الافتراق والافتراق مقدمة المحو والهلاك فكأنه أراد محو الدين بعدم محبته لأخيه وهذا ينافي الايمان قطعاً وذكر المصنف في شرح الاربعين إن الحب يشمل الكافر والمسلم فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام ولهذا كان الدعاء للكافر بالهداية مستحباً والمراد من المحبة إرادة الخير والمنفعة والمحبة المرادة هي الدينية لا البشرية فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتمييز غيرها عنها والانسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه .

(الثامن) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « أيُّها النَّاسُ إنَّ اللَّهَ طيِّبٌ لا يقبَلُ إلا طيِّباً ، وإنَّ الله تعالى أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ به المرْسلين » فقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الرُّسُلُ كلُوا من الطيِّباتِ ﴾ ثم ذَكرَ الرجلُ يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمُه حرام ومشرَبهُ حرام وملبسُه حرام وغُذِّيَ بالحرَام ، فَأنَّى يُستجابُ لذلك[1] رواه مسلم في صحيحه .

(التاسع) حديث لا ضرر[2] ولا ضرار رواه مالك مرسلا ورواه الدارقطني وجماعة من وجوه متصلا وهو حديث حسن (العاشر) عن تميم الدارمي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة[3] قلنا لمن قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم (الحادي عشر) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما هلك الذين من قبلكم

---

(١) قوله فأنى يستجاب له ذلك وقد امتلأ جسمه من الحرام وهذا نص صريح في أن التقوى ليست باللباس فليس كل من تراه قذراً أو متقشفاً هو رجل صالح وإنما يجب أن يزنه بميزان الشرع فإن ظهر كاملاً فهذا هو الصالح حقاً لبس جيداً وجديداً وليس عاطلاً خلقاً وإن كان ناقصاً فهو الشقي وإن كان زيه زي أتقى الناس وأورعهم فمنهم من يتخذ الشعث زهداً في الدنيا ومنهم من يتخذه مصيدة للاستيلاء على قلوب الناس وأموالهم ومنهم من يتخذ اللباس تحدثاً بنعمة الله وإظهارا لها ومنهم من يستعمله كبراً وغروراً فكلها تدور حول الحديث الأول إنما الأعمال بالنيات ولكن المقياس الحقيقي لنا عدم اتباع المشروع أو اتباعه .

(٢) قوله لا ضرر أي يضر الإنسان أخاه لأجل نفع نفسه ولا ضرار أي يضر غيره بدون انتفاع فكلاهما مذموم لأن الشريعة لم تجوز لك منفعة تضر فيها غيرك . وقال في النهاية لا ضرر أي لا يضر الرجل أخاه فينقصه شيئاً من حقه ولا ضرار أي لا يجازيه على إضراره بإدخال الضرر عليه ا هـ باختصار وإلى الأخير الاشارةبقوله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حمم ﴾ .

(٣) فأما النصيحة لله فالإخلاص في العبادة ونفي الشرك وترك الإلحاد وتنزيهه تعالى عن كل نقص وعيب مع القيام بالطاعة والحث عليها واجتناب المعاصي وزجر الغير عنها والحب في الله والبغض لله وأما النصيحة لرسوله فهي تصديقه والايمان بما جاء به وبث دعوته وإحياء سنته وقمع بدعه والتخلق بأخلاق النبي ﷺ والتأدب بآدابه والحب لآله وأصحابه. وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به ونهيهم عنه وتذكيرهم به وإعلامهم بما غفلوا عنه وإن لا يغرهم بالثناء عليهم كذباً وزوراً ا هـ نووي على الأربعين بتصرف .

بكثرة[1] مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » متفق على صحته .

(الثاني عشر) عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله « دُلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد[2] في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » حديث حسن رواه ابن ماجة (الثالث عشر) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » . متفق على صحته (الرابع عشر) عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام[3]

---

(١) قوله بكثرة مسائلهم لأنها تسبب الخلاف وتورث النزاع وقد وقع ما حذر منه الرسول ﷺ فقد بلغ من كثرة المسائل أن صارت الخيالات البعيدة عن العقل تدون بالكتب وتمضي الأوقات الكثيرة لدرسها والتحقيق عنها وهي مستحيلة الوقوع عادة كقولهم لو نزا ثور على بقرة فولدت إنساناً وأقرأناه القرآن وصار خطيباً لنا يوم العيد جازت تضحيته وقد بلغ من الاختلاف أن المسلمين يكفر بعضهم بعضاً ويتعصبون على بعضهم وليتهم فعلوا هذا التعصب ووجهوا قوتهم نحو الكفار الذين استغلوا هذا الاختلاف فامتلكوا البلاد واستعبدوا الأشخاص فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) قوله ازهد في الدنيا ليس المراد منه أن يترك كل عمل ويعتزل العالم مقتنعاً بعيش أشبه بحالة الحيوانات الوحشية حتى يحتاج إلى الصدقة والمعونة فإنه عند ذلك يكون مكروهاً لا محبوباً بل المقصد أن يخرج حب الدنيا من قلبه مؤدياً ما عليه من الحقوق لا يبخل ولا يسرف فإن الاقتصاد والاعتدال هو الذي أثنى الله في كتابه على من عمل به قال تعالى ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ .

(٣) قوله إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله يعني أن من ترك حقاً من حقوق الاسلام ليس له حق في استحصال العصمة وقد يؤول الأمر إلى سفك دمه إذا كان فيه ضرر على المسلمين ولا عبرة بما تكنه الضمائر وتخفيه الأفئدة فإن حساب ذلك على الله .

وأما مسألة المنافقين وأن النبي ﷺ لم يقتل أحداً منهم فلأن حالتهم لم تصل إلى أنهم أظهروا شيئاً وإنما الذي يقولونه لإخوانهم يحتاج لتأويلات دقيقة كي يظهر طعنهم ونفاقهم ولذا قال تعالى ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ فأن اللحن هو الرمز الذي يستعمله الرفقاء كي لا يفهم كلامهم غريب عنهم . قال الشاعر : =

وحسابهم على الله تعالى » متفق على صحته (الخامس عشر) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ « بني الاسلام[1] على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» متفق على صحته (السادس عشر) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما « أن رسول الله ﷺ قال لو يعطي الناس بدعواهم لا ادعى رجال أموال قوم ودماءهم لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر » حديث بهذا اللفظ وبعضه في الصحيحين (السابع عشر) عن وابصة بن معبد رضي الله تعالى عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال له جئت تسأل عن البر والاثم قال قلت نعم قال استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والاثم ما حاك[2] في النفس وتردد في النفس وإن أفتاك الناس وأفتوك . وفي رواية « وإن أفتاك المفتون » .

حديث حسن رواه أحمد بن حنبل والدارمي وغيرهما . وفي صحيح مسلم من رواية النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال

= ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا والـلحن يفهمه ذوو الألباب

أما لما أرادوا أن يشكلوا جماعتهم ويجمعوا شملهم حيث بنوا مسجد الضرار فقد آخذهم الله تعالى وأمر رسوله بهدم مسجدهم ولم تنفعهم صورة الغش وأن المسجد محبب في الظاهر للمسلمين فإذن حق الإسلام وهو محافظة كيانه يجب أن يصان ولا ينتهك ومجرد الادعاء وزعم حب الخير لا يجدي نفعاً ولو أن أهل مسجد الضرار كانوا داخله لهدم عليهم ولكنهم فروا ولم تنفعهم دعوى الإخلاص في محافظة مسجدهم الذي لم يريدوا به وجه الله فالهدف الحقيقي منفعة الإسلام والمسلمين في كل أمر وشكل وحالة ووضع .

(١) قوله بني الإسلام على خمس لا أدري ماذا نقول عن شخص يدعي الإسلام ولم يعلم من هذا البناء شيئاً ؟ وهل هو إلا مستهزىء بالإسلام يريد استغلال الإسلام والاستفادة منه بدعوى لا بينة له عليها وما أحسن مناسبة هذا الحديث بما وراءه وهو قوله ﷺ « لو يعطي الناس بدعواهم لادعى » الخ فإن هذا يوافق عصرنا حيث أن كثيرين ممن يدعون الإسلام وأن لهم فيه قدماً راسخاً لم يصدر عنهم شيء من الأركان غير دعوى الشهادة وقد يجوز أن تكون من الشهادة التي ذكرها الله بقوله ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك رسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ فلا بد من البينة على دعوى الإسلام وهي العمل بأركانه والسعي خلف مصلحة المسلمين .

(٢) حاك في نفسك أي أثر فيها ورسخ ا هـ نهاية .

« البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » (الثامن عشر) عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » رواه مسلم. والقتلة والذبحة بكسر أولهما (التاسع عشر) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل[1] خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » متفق على صحته (العشرون) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه « أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال لا تغضب[2] فردد مراراً قال لا تغضب . رواه البخاري في صحيحه (الحادي والعشرون) عن أبي ثعلبة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء

---

(١) قوله فليقل خيراً أو ليصمت قال الشافعي رحمه الله معنى الحديث إذا أراد أن يتكلم فليفكر فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم وإن ظهر أن فيه ضرراً أوشك فيه أمسك ولذا قال القشيري السكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال وقال الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس اهـ نووي وقوله فليكرم جاره وذلك لأن أول التعارف يبتدىء من الجار الذي وصى الله به في كتابه ﴿ والجار الجنب ﴾. فإن إهمال الجار وإكرام غيره دليل على أن الإكرام لدسيسة أو نية غير حسنة إذ العدول عن القريب إلى البعيد يدعو إلى الريبة بل هو دليلها وإن إكرام الجار مقدمة لإكرام الغير فمتى تمرن الشخص على إكرام القريب لا يحجم عن إكرام البعيد « لكل امرىء من دهره ما تعودا » والجار يكرم جاره فيعم الاكرام وقوله « فليكرم ضيفه » ترقى الشارع بالشخص إلى المرتبة الثالثة فإنه بدأ به في قول الحق باللسان ثم صعد به إلى إعطاء المال ولكن للجار ثم نهض به إلى أرفع بأن يكرم ضيفه وهو الغريب الذي لا يعرفه ليعلم المسلمون أنهم كلهم عائلة واحدة لا فرق بين الجار والرجل الغريب .

(٢) قوله لا تغضب لأن الغضب نوع من الجنون فيصدر عن الإنسان في حالة تهيجه ما لا يرضاه في حال السكينة فقد يخرب في تلك اللحظة ما عمره في السنين الطوال لأن التخريب أسهل من التعمير ولما كان مقصود الشارع محافظة الأعمال الصالحة كالحث عليها كرر الوصاية بقوله ﷺ لا تغضب لتستطيع حفظ ما بنيته من الأعمال وإلا فإنك تبقى محفوظاً لا تستطيع أن تحتفظ بشيء وتكون كمن يجمع أموالاً طائلة ثم يلقيها بعد مدة في البحر ويكتفي بأنه كان وكان فالشارع يريد منك أن تكون في كل أحوالك مالكاً لعقلك ومشاعرك محافظاً على ما حصل لك في هذه الحياة من الأعمال الصالحة .

رحمة لكم فلا تبحثوا عنها » رواه الدارقطني بإسناد حسن .

(الثاني والعشرون) عن أبي ذر ومعاذ رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال « اتق الله[1] حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض نسخه المعتمدة حديث حسن صحيح (الثالث والعشرون) عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال « قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير . الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس[2] الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد

---

(١) قوله حيثما كنت أي لا فرق بين سرك وعلنك ليدل على إخلاصك لأن الله مطلع عليك ولا تخفى عليه خافية ولتكن عبادتك في دارك لا تقل عن عبادتك في المسجد الحرام وذلك ليدل على قوة إيمانك الثابت بعدم الفرق بين عملك في جميع الأمكنة مبتعداً عن الرياء والسمعة حيث لا نفرق بين وجود الناس وبين عدمهم واتبع السيئة الحسنة تمحها لقوله تعالى ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ وخالق الناس بخلق حسن لأنه منبع الفضائل وكان ثناء الله على رسوله محمد ﷺ بهذه الخصلة الجميلة ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فإن سنة الله في الكون أن جعل الناس في احتياج لبعضهم لا يمكن أن يستغنوا عن المساعدة فالخلق السيء يدعو إلى الوحدة والعيش بمعزل عن الناس خلاف تعاليم الدين الإسلامي التي جعلت الاجتماع في كل يوم خمس مرات فكيف يتمكن من مخالطة من لا يتوافق طبعه مع مزاجهم ؟ ولما كان حدوث النزاع والشقاق قريب الوقوع أمر ﷺ بأن يخالق الناس بخلق حسن لتجتمع كلمتهم ولا يحصل مجال لأن تعبث الأيدي الأثيمة بين المسلمين فتفرق كلمتهم وان فوائد الخلق الحسن مما لا يتسع هذا البحث لذكر جزء منها فما بالك بها كلها ويكفي منها ما ذكره الله في كتابه العزيز ثناء على الخلق الحسن .

(٢) قوله برأس الأمر وعموده الجهاد وذلك لأنه يدل على القوة والعظمة وهذه تحفظ الأمن وبظل الأمن تقام الأحكام ويعبد الله علناً بلا معارضة ولا نزاع أما ترك الجهاد فهو دليل العجز والاستسلام للعدو فيبقى الإسلام بيتاً لا عمود له أي أنه لا يصلح للاستعمال ولا تحصل الفائدة المطلوبة منه ومهما منحت حرية العبادة من غير المسلمين فإنها مقيدة باستحصال أمر عدو تلك العبادة فأي خير يرجى منها يا ترى ؟ فما ألذ هذه الجملة التي هي من جوامع كلمه ﷺ . وقوله كف عليك هذا لأن اللسان ترجمان القلب فيجوز أن تتكلم بما لا تعتقده فتعامل =

ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ذروة السنام أعلاه وهي بضم الذال وكسرها (الرابع والعشرون) عن العرباض بن سارية قال « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (الخامس والعشرون) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال « يا غلام إني أعلمك كلمات . احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل[1] الله وإذا استعنت فاستعن[2] بالله واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي « احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم

= بموجب ما تكلمت ولا يفيدك سرد المعاذير وإن أمادتك في عدم إقامة الحد فلا تفيدك من الشبهة التي أصبحت لا تفارقك ولا تدري كيف التخلص منها . وقوله حصائد ألسنتهم لأن الله منح الإنسان نعمة عظيمة وهي أن التصور القلبي ومجرد الهم لا يؤاخذ عليه فمتى تكلم فقد كتب به عليه وعرض نفسه للمسؤولية التي لولا لسانه لكان منها ناجياً وبريئاً .

(١) قوله فاسأل الله لأن عزة الإسلام تأبى الذلة والخضوع لغير الخالق الذي له المنة فإن سؤال شخص مثلك يسوقك إلى الخمول واعتبار المسؤول إما أعلى من البشرية وهذا يخالف التوحيد وإما أنه في مرتبة الإنسانية فيكون السائل أحط قدراً من الإنسان مع أنه تعالى خلقه بشراً سوياً .

(٢) قوله فاستعن بالله أي من حيث اعتقاد النفع والضر لا المساعدة في الأعمال فقد حث عليها تعالى بقوله ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ .

يكن ليخطئك » وفي آخره « واعلم أن النصر مع[1] الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا » (السادس والعشرون) حديث ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما في الايمان بالقدر وبيان الايمان والاسلام والاحسان وبيان علامات القيامة فهذه الأحاديث التي ذكرها الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى ومما في معناها أحدها وهو (السابع والعشرون) عن سفيان بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك « قال قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم (الثامن والعشرون) عن أبي مسعود البدري عقبة بن عمر رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « إذا لم[2] تستح فاصنع ما شئت » رواه البخاري في صحيحه (التاسع والعشرون) عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال « أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس المكتوبات وصمت رمضان وحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة قال نعم » رواه مسلم .

فصل في حقيقة الإخلاص والصدق

أما الاخلاص فقال الله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ الآية وروينا عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن الاخلاص ما هو فقال سألت جبريل عن الاخلاص ما هو فقال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال سر من أسراري أودعته قلب من أحب من عبادي » وروينا عن الأستاذ الامام أبي القاسم القشيري رحمه الله

(١) قوله النصر مع الصبر الخ قاعدة من قواعد الدين أغفلها معظم الناس وهي عدم إعطاء فرصة لوصول اليأس إلى القلوب فالمسلمون يجب أن يكون لهم عزم شديد في حال الكرب لا يقل عن وقت الفرج وفي حال الهزيمة لا يقل عن زمن النصر وإن تكون نصب أعينهم آية ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ .

(٢) قوله إذا لم تستح أي من الله ولا رسوله فلا تبال بارتكاب أي عمل شئته وهذا أمر للتهديد فإن مصيرك إلينا وسوف ترى ما قدمته من العمل ﴿ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ﴾ .

تعالى قال الاخلاص افراد الحق في الطاعة بالقصد وهو يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من التصنع لمخلوق واكتساب محمدة عند الناس أو منحة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى . قال ويصح أن يقال الاخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص . وروينا عن الاستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى قال الاخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق والتبقي عن مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له . وروينا عن أبي يعقوب السوسي رضي الله تعالى عنه قال متى شهدوا في إخلاصهم الاخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص . وروينا عن السيد الجليل ذي النون رضي الله تعالى عنه قال : ثلاث من علامات الاخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال واقتضاء ثواب العمل في الآخرة . وعن أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى قال الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق وعن حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى قال الاخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن . وعن السيد الجليل فضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما . وعن السيد الجليل أبي محمد سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى أنه سئل أي شيء أشد على النفس قال إخلاص لأنه شيء ليس لها فيه نصيب . وعن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى قال أعز شيء في الدنيا الاخلاص . وعن أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى قال اخلاص العوام ما لا يكون للنفس فيه حظ وإخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا تقع لهم عليها رؤية ولا لهم عليها اعتداد . وروينا عن السيد الجليل الامام التابعي مكحول رضي الله تعالى عنه قال ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . وروينا عن سهل التستري قال من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم يظهر له فإنه عدم الصدق في زهده فقيل لسهل كيف تظهر له الكرامات قال يأخذ ما يشاء كما

يشاء من حيث[1] يشاء . قال سهل التستري رحمه الله نظر الأكياس في تفسير الاخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا . وقال السري رحمه الله لا تعمل للناس شيئاً ولا تترك لهم شيئاً ولا تعط لهم شيئاً ولا تكشف لهم شيئاً . وأما الصدق فقال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا[2] مع الصادقين ﴾ وروينا عن الأستاذ القشيري رحمه الله قال الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه قال وأقل الصدق استواء السر والعلانية . وروينا عن سهل رحمه الله تعالى قال لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره . وروينا عن ذي النون قال الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه . وروينا عن السيد الجليل الامام العارف الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى قال الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله فإن كراهته دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من إخلاص الصديقين . وقيل إذا طلبت من الله تعالى الصدق أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة . وروينا عن السيد الجليل أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه قال الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة قلت معناه أن الصادق يدور مع الحق كيف كان فإذا رأى الفضل الشرعي في أمر عمل به وإن خالف ما كان

---

(١) قوله كما يشاء من حيث يشاء لا أدري هل بلغ من العصمة أن لا يشاء إلا ما يباح له مع أن العصمة خاصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أم أنه أبيح له كل شيء حتى الحرام ؟ وهذا لا يتفق مع الكرامة بل يتنافى مع الديانة الإسلامية وعلى كل فهذه الدعوى تحتاج في إثباتها إلى برهان وتأمل بإنصاف مع مراجعة نقد مالك الصوفية صفحة ٣٤١ من كتاب تلبيس ابليس للعلامة الحافظ بن الجوزي المطبوع للمرة الثانية من قبل إدارة الطباعة المنيرية .

(٢) قوله وكونوا مع الصادقين لأن الجليس له تأثير في الخير والشر والطبع سراق وشأن المرء تقليد من يخالطه كثيراً ولو من حيث لا يشعر قال طرفة :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

فالحسن شيء يسلكه من يريد تهذيب النفس هو مخالطة الكامل لتسري طباعه وعوايده الحسنة فيه فإن تأثير الأفعال أشد من تأثير الأقوال قطعاً

عليه عادته وإذا عرض أهم منه في الشرع ولا يمكن الجمع بينهما انتقل إلى الأفضل ولا يزال هكذا وربما كان في اليوم الواحد على مائة حال أو ألف وأكثر على حسب تمكنه في المعارف وظهور الدقائق له واللطائف وأما المرائي فيلزم حالة واحدة بحيث لو عرض له مهم يرجحه الشرع عليه في بعض الأحوال لم يأت بهذا المهم بل يحافظ على حالته لأنه يرائي بعبادته وحاله المخلوقين فيخاف من التغير ذهاب محبتهم إياه فيحافظ على بقائها والصادق بريد بعبادته وجه الله تعالى فحيث رجح الشرع حالا صار إليه ولا يعرج على المخلوقين . وقد بسطت القول في هذه الحكاية في أول شرح المهذب وذكرتِ دلائلها وأوضحتها بالأمثلة ومقصودها ما ذكرته هنا فاقتصرت عليه والله أعلم .

فصل

اعلم أنه ينبغي لمن أراد شيئاً من الطاعات وإن قل أن يحضر النية وهو أن يقصد بعمله رضا الله عز وجل وتكون نيته حال العمل ويدخل في هذا جميع العبادات من الصلاة والصوم والوضوء والتيمم والاعتكاف والحج والزكاة والصدقة وقضاء الحوائج وعيادة المريض واتباع الجنائز وابتداء السلام ورده وتشميت العاطس وإنكار المنكر والأمر بالمعروف وإجابة الدعوة وحضور مجالس العلم والأذكار وزيارة الأخيار والنفقة على الأهل والضيف وإكرام أهل الودوذوي الأرحام ومذاكرة العلم والمناظرة فيه وتكراره وتدريسه وتعليمه ومطالعته وكتابته وتصنيفه والفتاوي وكذلك ما أشبه هذه الأعمال حتى لا ينبغي له إذا أكل أو شرب أو نام يقصد بذلك التقوى على طاعة الله أو راحة البدن للتنشط للطاعة وكذلك إذا أراد جماع زوجته يقصد إيصالها حقها وتحصيل ولد صالح يعبد الله تعالى واعفاف نفسه وصيانتها من التطلع إلى حرام والفكر فيه فمن حرم النية في هذه الأعمال فقد حرم خيراً عظيماً كثيراً ومن وفق لها فقد أعطى فضلاً جسيما فنسأل الله الكريم التوفيق لذلك وسائر وجوه الخير ودلائل هذه القاعدة ما قدمناه من قوله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » قال العلماء من أهل اللغة والأصول والفقه إنما للحصر تفيد تحصيل

المذكور ونفي ما سواه وقد قدمنا هذا في أول الباب وقد قالوا أنه قيل لأبي يحيى حبيب بن أبي ثابت التابعي مفتي أهل الكوفة والمعول عليه عندهم رحمه الله حدثنا عن أشق شيء قال مجيء النية . وعن سفيان الثوري رحمه الله قال ما عالجت[1] أشد علي من نيتي . وعن يزيد بن هارون رحمه الله ما عزت النية في الحديث إلا لشرفها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال إنما يحفظ الرجل على قدر نيته . وعن غيره إنما يعطي الناس قدر نياتهم . وعن الامام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي بالاسناد الصحيح أنه قال وددت أن الخلق تعلموا هذا على أن لا ينسب إلى حرف منه وقال الشافعي أيضاً ما ناظرت أحداً قط على الغلبة ووددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه . وقال أيضاً ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعاون ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ . وقال الامام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس في مجلس قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح .

فصل

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال : « إن اللّهَ تعالى كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئات ، فَمَنْ همَّ بِحَسنةٍ فلمْ يعْمَلْها كتَبها اللّهُ عنْدَه حسَنةً كاملةً وإنْ همَّ بها فعَملَها كتَبها اللّهُ عشْرَ حسَناتٍ إلى سَبْعِمائةِ ضعْفٍ إلى أضْعافٍ كثيرةٍ » .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في الجيش الذين يقصدون

---

(١) إنه يريد الإخلاص وتصفية الأعمال من الشوائب التي تلوث العمل أو تؤخره فهو يسعى ليكون عمله خالصاً لوجه الله الكريم وإلا لو كان المراد من النية مجرد القصد لكان من أيسر ما يكون وإنك لو دققت ما بحثه السلف الصالح من أنهم يعانون مشقات لتصحيح النية لا تجد سببه إلا أنهم يريدون أن تكون أعمالهم غير مقرونة بشيء من النقائص فيطبقون الباطن على الظاهر ليستوي السر والعلانية فيحوزوا القبول عند الله تعالى .

الكعبة : « يُخْسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخرِهِم ، فقالتْ عـائشةُ رضيَ الله تعـالى عنها يـا رسولَ اللّهِ كيفَ يخْسفُ بأوَّلِهمْ وآخرِهِم وفيهِمْ أشرافٌ ، ومَنْ ليْسَ منهمْ فقـال يُخْسفُ بأوَّلِهم وآخرِهِمْ ثم يُبعثُونَ على نيَّاتِهم » .

وثبت في الصحيحين عن ابن عبـاس رضي الله تعالى عنهمـا أن رسـول الله ﷺ قال : « لا هِجْرة بعدَ الفَتْحِ ولكنْ جِهادٌ ونيَّةٌ » .

قلت اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء في معنى لا هجرة بعد الفتـح فقيل معناه لا هجرة من مكة إذ صارت دار إسلام . وقيـل لا هجرة بعـد الفتح كاملة الفضل . وأما الهجرة من دار الكفار اليوم فواجبة وجوباً متـأكداً على من قـدر عليها إذا لم يقـدر على إظهار دين الاسـلام هنـاك فـإن قـدر استحب ولا يجب والله تعـالى أعلم وروينا عن السيـدالجليل أبي ميسـرة عمر بن شـرحبيل التابعي الكوفي الهمذاني باسكان الميم وبالـدال المهملة رضي الله تعالى عنـه أنه كان إذا أخذ عطاءه تصدق منه فـإذا جاء إلى أهله فعـده وجدوه سـواء فقال لابن أخيـه ألا تفعلون مثل هـذا فقالـوا لو علمنـا أنه لا ينقص لفعلنـا قـال أبـو ميسـرة إني لست أشرط هـذا على ربي عز وجـل . وقال أمـامنـا أبـو عبـدالله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله خير الدنيا والآخرة في خمس خصال غنى النفس وكف الأذى وكسب الحلال ولباس التقوى والثقة بالله عز وجل على كل حال وروينا عن السيد الجليل حماد بن سلمة رحمه الله وكان يعـد من الابدال قال من طلب الحديث لغير الله تعالى مكـر[1] به وقال أحمـد بن أبي الحواري السيد الجليل في كتاب الزهد الذي صنفه وسترى ما أنقل من النفائس إن شاء الله تعـالى ولـم يحصل إلى الآن إسنـاده ولكن عندي منـه نسخة جيـدة محققة

---

(١) قوله مكر به لأن العلم شبيه بالأسد الغضنفر والحديث الذي هو لب العلم يقال الضرغام الفاتك من السباع ولا يمكن الاستيلاء على هذا الأسد إلا بمعونة الله تعالى وتمهيد وصولها للمـرء أن يتقي الله وتخلص النية حتى يستطيع أن يركب الأسـد أو يجعله تحت قهره وسلطانـه ومع هـذا فإنه لو غلبه يحتاج أيضاً إلى المراقبة الشـديدة لأن إغفـال الأسد وإهمـاله يسـاعده على نقض الاستسلام فيفتك بصاحبه فيقتله وهذا ما أراده حماد بن سلمة رحمه الله من أن الحديث يمكـر بطالبه لغير الله تعالى .

متقنة ذكر لي بعض أهل العلم والخبرة أنها بخط الدارقطني رحمه الله . قال أحمد حدثنا إسحاق بن خلف قال حدثنا حفص بن غياث قال كان عبدالرحمن بن الأسود رضي الله تعالى عنه لا يأكل الخبز إلا بنية قلت لاسحاق وأي شيء النية في أكل الخبز قال كان يأكل فإذا ثقل عن الصلاة خفف ليخف بها فإذا خفف ضعف فأكل ليقوى فكان أكله لها وتركه لها قلت معنى يخف أي ينشط وتسهل عليه ويلتذ بها . وأحمد بن الحواري يقال بفتح الراء وبكسرها والكسر أشهر والفتح سمعته مرات من شيخنا الحافظ أبي البقاء يحكيه عن أهل الإتقان وعن بعضهم والله تعالى أعلم .

وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يعني الداراني رحمه الله يقول عاملوا الله بقلوبكم معناه طهروا قلوبكم وصفوها وهذبوها ولا تخلوا شيئاً من الأعمال الظاهرة . والداراني يقال بالقنون بعد الألف الثانية ويقال بهمزة بدل النون وهو ابلنون أشهر وأكثر استعمالاً والهمز أقرب إلى الأصل وهو منسوب إلى دارنا القرية الكبيرة النفيسة بجانب دمشق وكان أبو سليمان من كبار العارفين وأصحاب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة والحكم المتظاهرة واسمه عبدالرحمن بن أحمد بن عطية وسيمر بك إن شاء الله تعالى جمل ما أنقله عنه من النفائس وهو أحد متأخري بلادنا دمشق وما حولها رضي الله تعالى عنه قال ما أدرك ما عندك من أدرك بكثرة صلاة ولا صوم ولكن بسخاء[1]

---

(١) قوله بسخاء النفس وذلك لأن الصلاة باعثة للمرء على فعل الأعمال المرضية واجتناب الأعمال المذمومة قال تعالى ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ فسخاء النفس لا يجتمع إلا مع الصلاة ولا يرد على خاطرك أن كثيراً من تاركي الصلاة عندهم نصح وسخاء نفس وسلامة صدر فاعلم وتأكد بأن عمله لذلك غش للناس ليخدعهم فيؤثر على عقولهم وأموالهم أو يكتفي منهم بالمدح والثناء وإلا لو كان أراد وجه الله تعالى بعمله لكان إطاعة فهو لك فإن الله تعالى يقول ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ﴾ ولا يخلو عمل المرء من أن يكون إما لوجه الله فمن ادعاه مع ترك الصلاة فهو كاذب لأن الوصول لإرادة الله لا تحصل بعصيانه وأما لأجل الناس وهذا ليس بسخاء وإنما هو كالصياد الذي يضع الطعم ليصطاد به وأما إذا كان لا يريد الدين ولا الدنيا فذلك آلة مسخرة لا يوصف عمله بالمدح والثناء فإذن لا شك أن مراده من كثرة الصلاة ما كانت على غير وجهها لأن الصلاة هي منبع الفضائل والدرج الذي يرقى به إلى الكمالات الدنيوية والأخروية .

النفس وسلامة الصدر والنصح للأمة وقال أمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من أراد أن يقضي الله تعالى له بالخير فليحسن الظن بالناس . أخبرنا شيخنا الإمام الحافظ أبو البقاء بقراءتي عليه قال أخبرنا الحافظ عبدالغني إجازة أخبرنا أبو طاهر السلفي أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد الدوني قال سمعت أبا الحسن علي بن محمد الأسد أبادي أخبرنا علي بن الحسين بن علي أخبرنا أبو منصور يحيى بن أحمد المروزي قال سمعت أبا العباس أحمد بن منصور قال سمعت أبا طاهر محمد بن الحسين بن ميمون يقول سمعت أبا موسى هارون بن موسى يقول قال أبو حاتم محمد بن إدريس سمعت أبا قبيصة يقول رأيت سفيان الثوري في المنام فقال ما فعل الله تعالى بك فقال :

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي	هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا أظلم الدجا	بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته	وزرني فإني منك غير بعيد

قلت السلفي بكسر السين المهملة وفتح اللام منسوب إلى جده يقال له سلفة كان هذا الجد مشقوق الشفة فقلب بالفارسية سيه لفة بكسر السين وفتح اللام أي ذو ثلاث شفاه ثم عربت فقيل سلفة وكان أبو طاهر السلفي أحد حفاظ عصره . وأما الدوني بضم الدال وإسكان الواو فمنسوب إلى الدون قرية بخراسان من أعمال الدينورو اما الأسدابادي فمنسوب إلى بني ثور بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأما قوله نظرت إلى ربي كفاحاً فهو بكسر الكاف ومعناه معاينة من غير حجاب ولا رسول وقوله إذا أظلم الدجا هو الظلام وقوله عميد أي محب صادف الحب لله . قال أهل اللغة العميد القلب الذي هزه العشق .

أخبرنا شيخنا الإمام الحافظ أبو البقاء رحمه الله أخبرنا أبو محمد عبدالعزيز بن معالي أخبرنا القاضي أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس أخبرنا محمد بن أحمد الوراق قال سمعت عبدالله بن سهل الرازي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي رضي الله تعال عنه يقول كم

من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا استغفر الله وقلبه فاجر وهذا ساكت وقلبه ذاكر . وبالاسناد إلى الخطيب قال حدثنا أبو الحسن الواعظ قال سمعت أبا عبدالله أحمد بن عطاء الروزبادي رحمه الله يقول من خرج إلى العلم يريد العلم به نفعه قليل العلم . وبهذا الاسناد قال أبو عبدالله بن عطاء العلم موقوف على العمل به قلت يعني العلم النافع المطلوب كما قال أمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ليس العلم ما حفظ . العلم ما نفع . وأخبرنا شيخنا أبو البقاء أخبرنا أبو محمد أخبرنا أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا علي بن محمود الصوفي أخبرنا عبدالوهاب بن الحسن الكلابي حدثنا سعيد بن عبدالعزيز الحلبي قال سمعت قاسماً الجوعي رضي الله تعالى عنه يقول الدين الورع فأفضل العبادة مكابدة الليل وأفضل طريق الجنة سلامة الصدر قلت الجوعي بضم الجيم وإسكان الواو . وقال الامام الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الانساب قاسم الجوعي هذا له كرامات منسوب إلى الجوع . قال ولعله كان يبقى جائعاً كثيراً وأخبرنا شيخنا أبو البقاء أخبرنا أبو محمد أخبرنا أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا أحمد بن الحسين بن السماك قال سمعت أبا بكر الدقي قال سمعت أبا بكر الزقاق رضي الله تعالى عنه يقول بني أمرنا هذا على أربع لا نأكل إلا على فاقة ولا ننام إلا عن غلبة ولا نسكت إلا عن خيفة[1] ولا نتكلم إلا عن وجد (قلت) الدقي بضم الدال وإسكان القاف المشددة وهو من كبار الصوفية وأهل المعارف والكرامات توفي سنة ستين وثلاثمائة وأما الزقاق فبفتح الزاي وتشديد القاف قال السمعاني هو نسبة إلى الزق وعمله وبيعه كان أبو بكر الزقاق هذا من كبار الصوفية أصحاب الكرامات

---

(١) قوله إلا عن خيفة أي إذا شرع في الكلام لا يبالي من غضب المخاطب أو رضائه فيصدع بالحق ولا يسكت إلا إذا خاف على مخاطبه من أن يضل ويزيغ أو خاف على نفسه أن يتسلط عليها الرياء والعجب فيصيبه من المرض أكثر مما أراد به معالجة غيره وهذا هو معنى الخيفة كي لا تغر المرء نفسه فيندفع بسرد الأقوال ويكون هو الضحية كالشمع يضيء على غيره ويحترق هو إذ يجوز أن لا يصدق المثل فلا ينفع وعظه وتكون كصيحة في واد أو نفخة في رماد وقوله لا يتكلم إلا عن وجد بحيث يضطر للكلام فيجعله من قبيل العلاج لا يزيد على القدر اللازم فالمراد من الوجد أن يتحقق بما يقول فلا يكون مقلداً لغيره في الخطاب بل يفهم القول ويعلمه ليستطيع التعبير عنه ويكون أبلغ في التأثير على النفوس .

الظاهرات والمعارف المتظاهرات وبهذا الاسناد إلى الزقاق قال كل أحد ينسب إلى نسب إلا الفقراء فإنهم ينسبون إلى الله عز وجل وكل حسب ونسب ينقطع إلا حسبهم فإن نسبهم الصدق وحسبهم الفقر . وبلغنا عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما رواه البيهقي رحمه الله بإسناده عن يونس بن عبدالله وقيل بن عبدالأعلى قال قال الشافعي رضيَ الله تعالى عنه يا أبا موسى لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضى الناس كلهم فلا سبيل إليه فإن كان كذلك فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل .

وأخبرنا شيخنا أبو البقاء أخبرنا أبو محمد أخبرنا أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا أحمد بن الحسين الواعظ قال سمعت أبا بكر الطرسوسي يقول سمعت أبا بكر بن شيبان يقول سمعت أبا عبدالله المغربي يقول صوفي بلا صدق الروزجار أحسن منه[1] قلت هو براء مضمومة ثم واو ساكنة ثم زاي ثم جيم ثم ألف ثم راء وهو الذي يعمل في الطين بالمجرفة ونحوها .

ورويناً بأسانيد متعددة عن مقاتل بن صالح الخراساني قال دخلت على حماد بن سلمة رضي الله تعالى عنه فإذا ليس في البيت بيته إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب فقال يا صبية أخرجي أنظري من هذا قالت هذا رسول محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل وسلم وناوله كتاباً فقال اقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسألة فانا نسألك فيها فقال يا صبية هلمي بالدواة ثم قال اكتب في ظهر الكتاب .

---

(١) قوله أحسن من أفضل التفضيل على غير بابه لأن الذي يعمل بالمجرفة ينفع الناس في الدنيا وإن أخلص في عمله نفع في الأخرة أيضاً وأما الصوفي بلا صدق فإنه لا حسن فيه أصلاً لأنه بعد عن الأخرة ولا فائدة فيه للناس لأنه نقمة وبلاء عليهم وإنما هو صياد مهيء شبكته وناصب شراكه ليوقع بها الناس فهو لم يكسب ديناً ولا دنيا خسر الدنيا والأخرة وذلك هو الخسران المبين . وفي حديث عبدالله بن جراد قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لاثم اتبعها ﷺ يقول الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله . رواه ابن عبد البر في التمهيد .

أما بعد : فأنت صبحك بما صبح به أولياءه وأهل طاعته أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فإن وقعت مسألة فائتنا فتسألنا عما بدا لك وأن أتيتني فلاتأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام . فبينا أنا عنده جالس إذ دق داق الباب فقال يا صبية أخرجي انظري من هذا فقال محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحده فسلم ثم جلس بين يديه فقال مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً فقال حماد سمعت ثابتاً يعني البناني يقول سمعت أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول العالم إذا أراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شيء وإذا أراد يكثر به الكنوز هاب من كل شيء فقال ما تقول يرحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله فقال لا ويرحمك الله فإني سمعت ثابتاً البناني يقول سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل إذا أراد أن يعذب عبداً بماله وفقه عند موته لوصية جائرة . قال فحاجة قال هات ما لم تكن رزية في دين الله قال أربعين ألف درهم تستعين بها على ما أنت عليه قال أرددها على من ظلمته بها قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال اروها عني روى الله عنك أوزارك قال فغير هذا قال هات ما لم يكن رزية في دين الله قال تأخذها فتقسمها قال فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها أنه لم يعدل في قسمتها فيأثم اروها عني روى الله عنك أوزارك قلت[1] ما أحسن

---

(١) ويرحم الله القاضي أبا الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني حيث يقول :

يقولون لي فيك انقباض وإنما	رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم	ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أكن	أقلب كفى أثره متندما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما	بدا مطمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني	ولا كل من في الأرض أرضاه منعما
إذا قيل هذا منهل قلت أرى	ولكن نفس الحد تحتمل الظما
أنهنها عن بعض ما لا يشينها	مخافة أقوال العدا فيم أو لما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة	إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

=

هذه الحكاية وما أحسن فوائدها وما جمعت من النفائس والتنبيه على قواعد مهمة وهي بارزة لا تحتاج إلى التنصيص عليها ولكن فيها أحرف من اللغة نضبطها وإن كانت معروفة صيانة لها . فقوله ومصحف يقرأ فيه يقال مصحف بضم الميم وكسرها وفتحها ثلاث لغات الضم أفصح وقد أوضحتها وبينت أصولها واشتقاقها في كتاب تهذيب الأسماء واللغات . وقوله جراب هو بكسر الجيم وفتحها لغتان والكسر أجود . وقوله مطهرة هي بكسر الميم وفتحها لغتان وهي كالإبريق والركوة وغيرهما مما يتطهر به . وقوله هلمي بمعنى اعطيني وهذه إحدى اللغتين والأخرى هلم للرجل والمرأة والمثنى والمجموع وهي أفصح وبها جاء القرآن قال الله عز وجل ﴿ هلم شهداءكم ﴾ و﴿ هلم إلينا ﴾ وقوله هات هو بكسر التاء بلا خلاف . أخبرنا شيخنا الحافظ أبو البقاء بقراءتي عليه أخبرنا الحافظ عبد الغني اجازة أخبرنا محمد بن عبد الباقي أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الخطيب أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران أخبرنا الحسين بن صفوان حدثنا عبدالله بن محمد حدثني أبو عبدالله التميمي عن أبيه قال رأيت حماد بن سلمة في النوم فقلت ما فعل بك ربك قال خيراً قلت ماذا قال قال لي طالما كدت نفسك فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعوبين من أجلي بخ بخ ماذا أعددت لهم .

= ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تهجما

باب

في نفائس مأثورة

روينا في صحيح البخاري رحمه الله قال قال عمار رضي الله عنه في هذه الكلمات ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والانفاق في الاقتار .

قلت قد جمع رضي الله عنه في هذه الكلمات خيرات الآخرة والدنيا وعلى هذه مدار الاسلام لأن من أنصف من نفسه فيما لله تعالى وللخلق عليه ولنفسه من نصيحتها أو صيانتها فقد بلغ الغاية في الطاعة وقوله بذل السلام للعالم هو بفتح اللام يعني الناس والتكبر عليهم الارتفاع فوقهم يعني للناس كلهم لقول النبي ﷺ « وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وهذه من أعظم مكارم الأخلاق . وهو متضمن للسلامة من العداوات والأحقاد واحتقار الناس والتكبر عليهم والارتفاع فوقهم[1] وأما الانفاق من الاقتار فهو الغاية في الكرم وقد مدح الله سبحانه وتعالى على ذلك فقال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وهذا عام في نفقة الرجل على عياله وضيفه

(١) وأيضاً باب يتوصل منه إلى التعارف الذي هو من أهم أركان الإسلام ومن أعظم منافع الحج التي ذكرها الله تعالى بقوله ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله وجعل الشارع المنافع قبل الذكر اهتماماً بها فإن الواو وإن تكن لمطلق الجمع لا تفيد تقديماً ولا تأخيراً من حيث العربية فإن حديث جابر الذي رواه الدارقطني وهو قوله ﷺ « ابدؤوا بما بدأ الله به » يدل على التقديم والاهتمام في العمل .

والسائل منه وكل نفقة في طاعة الله عز وجل . وهو متضمن للتوكل على الله تعالى والاعتماد على سعة فضله والثقة بضمان الرزق . ويتضمن أيضاً الزهد في الدنيا وعدم إدخار متاعها وترك الاهتمام بشأنها والتفاخر والتكاثر بها ويتضمن غير ما ذكرته من الخيرات لكني أؤثر في هذا الكتاب الاختصار البليغ خوفاً من الملل . وقد روينا هذه الكلمات في شرح السنة للبغوي عن عمار عن النبي ﷺ والله أعلم .

روينا في صحيح مسلم رحمه الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال أخبرنا عبدالله بن أبي يحيى بن أبي كثير قال سمعت أبي يقول لا يستطاع العلم براحة الجسم .

وروينا في صحيح البخاري رضي الله تعالى عنه قال قال ربيعة يعني شيخ مالك بن أنس الامام رضي الله تعالى عنهما لا ينبغي لمن عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه قلت في معنى كلام ربيعة قولان أوضحتهما في شرح صحيح البخاري واختصرتهما هنا أحدهما معناه من كانت فيه نجابة في العلم وحصل طرفاً منه وظهرت فيه أمارات التبريز فيه فينبغي له أن يجتهد في تتمته ولا يضيع طلبه فيضيع نفسه والثاني معناه من حصل له العلم ينبغي له أن يسعى في نشره مبتغياً به رضا الله تعالى ويشيعه في الناس لينتقل عنه وينتفع به الناس وينتفع هو وينبغي أن يرفق في نشره بمن يأخذه منه ويسهل طرق أخذه ليكون أبلغ في نصيحة العلم فإن الدين النصيحة .

وقد اختلف أصحاب الشافعي رحمه الله وإياهم فيمن كان بالصفة المذكورة في الأول هل يتعين عليه تتميم الطلب ويحرم الترك أم يبقى في حقه فرض كما كان فلا يحرم عليه الترك إذا قام به غيره وهذا الثاني هو قول أكثرهم وهو الصحيح المختار والله أعلم .

وروينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال من رق وجهه رق علمه . ومعناه من استحيا في طلب العلم كان علمه رقيقاً أي قليلاً .

وروينا في صحيح البخاري رضي الله تعالى عنه قال قال مجاهد رحمه الله لا يتعلم العلم مستحي ولا متكبر .

وروينا في صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين .

وروينا في صحيح البخاري قال قال عمر رضي الله تعالى عنه تفقهوا قبل أن تسودوا ومعناه أحرصوا على إتقان العلم والتمكن في تحصيله وأنتم شبان لا أشغال لكم ولا رئاسة ولا سن فإنكم إذا كبرتم وصرتم سادة متبوعين امتنعتم من التفقه والتحصيل وهذا نحو ما قال الشافعي رضي الله تعالى عنه تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه . أخبرنا شيخنا أبو البقاء أخبرنا أبو محمد أخبرنا أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا أبو محمد الأصبهاني حدثنا جعفر الخالدي قال سمعت الجنيد رحمه الله يقول ما أحب أن أموت حيث أعرف أخاف أن لا تقبلني الأرض وافتضح وبهذا الاسناد قال الجنيد سمعت سريا يقول إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرتين مخافة أن يكون قد اسود وجهي[1] .

وبهذا الإسناد إلى الخطيب قال حدثنا علي بن القاسم قال سمعت الحسين بن أرجك يقول من خير المواهب العقل ومن شر المصائب الجهل . وبالإسناد إلى الخطيب قال أخبرنا عبدالعزيز حدثنا محمد قال سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله تلميذ بشر بن الحارث قال سمعت ابن الحارث (رضي الله عنه) يقول كانوا لا يأكلون تلذذاً ولا يلبسون تنعماً قال وهذا طريق الآخرة والأنبياء والصالحين ومن بعدهم فمن زعم أن الأمر في غير هذا فهو مفتون . وبالإسناد إلى الخطيب قال : أخبرنا عبدالرحمن بن محمد النيسابوري حدثنا محمد بن عبدالله بن بهلول الفقيه حدثنا أحمد بن علي بن

---

(١) ولكن لا أظن أن سوء ظن المرء من نفسه يوصله إلى هذا الحد بحيث لا تقبله الأرض أو يمسخ إذ أن بعثة النبي محمد ﷺ مانعة لحصول الخسف والمسخ اللذين كانا يحصلان للأمم السابقة فلا يقع شيء بعد ولادة النبي ﷺ ولو للكفار قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

أبي حميـر قال سمعت سهـل بن عبدالله رحمـه الله يقول حـرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكـون إلى غير الله تعـال وحـرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكرهه الله تعالى . وبالإسناد إلى الخطيب قال أخبـرنا أبـو الحسن أحمد بن محمد الأهوازي حدثنـا أبو عبـدالله محمد بن مخلد العـطار حدثنا موسى بن هارون حدثنا محمد يعني ابن نعيم بن هصيم قال سمعت بشر هـو ابن الحارث رحمـه الله يقـول : أوحى الله تعـالى إلى داود ﷺ يـا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً فيصدك بسكره عن طـريق محبتي أولئك قـطاع طريق عبادي نسأل الله العافية أخبرنا شيوخنا الثلاثة الأئمة القاضي الامام بقيـة المشايخ أبو الفضل عبدالكريم بن القـاضي أبي القاسم عبـدالصمد بن محمـد الأنصاري والامام الحافظ أبو البقاء خالد بن يوسف والشيخ الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالمحسن بن محمد بن منصور الانصاري الدمشقيـون قال أخبـرنا الشيـخ الامام أبـو اليمن زيد بن الحسن الكنـدي أخبـرنـا أبـو بكـر محمـد بن عبدالباقي الأنصاري أخبرنا أبو إسحاق بن عمر بن أحمـد البرمكي أخبـرنا أبـو محمد عبدالله بن إبراهيم بن ناشي أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبدالله الكحي حـدثنا محمـد بن عبدالله الأنصـاري حـدثـنـا سليمـان التيمي عن أبي عثمـان النهدي عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال لا يعلم الناس عون الله بالضعيف ما عالوا بالظهر . وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه . عليك بالـزهد فـالزهـد على الزاهد أحسن من الحلى على الناهد[1] . وقـال الربيـع رحمه الله تعـالى قـال لي الشافعي رضي الله عنـه يـا ربيـع لا تتكلم فيمـا لا يعنيـك فـإنـك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولـم تملكها .

وقال المزني رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقـول ليس لأحد إلا له محب ومبغض فإذا لا بد من ذلك فليكن المرء مـع أهل طـاعة الله عز وجل . وروينا عن الحسن بن عمران بن عيينة أن سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه قال له بالمزدلفة في آخر حجة حجها قد وافيت هذا الموضع سبعين

---

(١) الناهد الفتاة التي ارتفع ثديها عن صدرها وصار له حجم ا هـ نهاية .

مرة أقول في كل مرة اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان وقد استحييت من الله عز وجل من كثرة ما أسأله فرجع فتوفي في السنة الداخلة . أخبرنا الشيخ الأمين السيد أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن التيمي البكري بقراءتي عليه بكلاسة جامع دمشق . قال أخبرنا الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي قال سمعت عبدالدائم بن الحسن الهلالي يقول سمعت عبدالوهاب بن الحسن الكلابي يقول سمعت محمد بن خريم العقيلي يقول سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني رحمه الله في المنام فرأيته بعد سنة فقلت يا معلم ما فعل الله بك فقال يا محمد جئت من باب الصغير فلقيت وسق شيخ فأخذت منه عودا ما أدري تخللت به أو رميت به فأنا في حسابه منذ سنة إلى هذه الليلة قلت ما أبلغ هذه الحكاية في الحث على الورع والتحذير من التساهل في محقرات المظالم ، والوسق بفتح الواو وبكسرها لغتان وهو الحمل ، ومعمر المذكور بضم الميم الأول وفتح الثانية وتشديدها ، وخريم بضم الخاء وبالراء ، والعقيلي بضم العين . أخبرنا شيخنا الإمام الصالح الحافظ المتقن أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن يوسف المرادي بقراءتي عليه قال أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن بن هبة الله الحميري أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي ، أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن زنجويه أخبرنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري قال سمعت أبا أحمد الغطريفي يقول سمعت أبا العباس محمد بن إسحاق السراج يقول سمعت عبدالله بن محمد الوراق يقول مروا بمعروف أيام الفتنة يتقاتلون وهو يقول لهم مروا[1] أصحبكم الله مروا بارك الله فيكم فقيل له إنهم يخرجون عن القتال فقال إن أصحبهم الله لم يقاتلوا .

---

(١) يقال صحبه وأصحبه وجاء في شعر الهزلي :

يرعى بروض الحزن من أبه　　قربانه في عابه يصحب

الحزن بالفتح الأرض السهلةوالأب العشب ويصحب من باب الأفعال بمعنى يمنع ويحفظ قال تعالى : ﴿ وما هم منها بمصحبين ﴾ . ا هـ لسان العرب .

أخبرنا شيخنا أبو إسحاق بهذا الاسناد إلى السراج قال سمعت ابن أبي الدنيا يقول جلس إلى معروف فاغتاب رجل منهم رجلا فقال يا هذا اذكر يوم يوضع القطن على عينيك ، وبهذا الإسناد قال السراج سمعت يحيى بن أبي طالب يقول سمعت يعقوب بن أخي معروف يقول سمعت عمي يقول كلاماً فيما لا يعينه خذلان من الله تعالى . وبهذا الاسناد قال السراج سمعت علي بن الموفق يقول كان من دعاء معروف يا مالك يا قدير يا من ليس له نظير . وبهذا الإسناد إلى الغطريفي بن أدهم بالشام فقلت ما أقدمك ها هنا فقال أما إني لم أقدمها لجهاد ولا لرباط ولكن قدمتها لأشبع من خبز حلال . وروينا عن الحافظ أحمد بن عبدالله العجلي قال ربعي بن خراش تابعي ثقة لم يكذب قط كان له ابنان عاصيان زمن الحجاج فقيل للحجاج إن أباهما لم يكذب قط لو أرسلت إليه فسألته عنهما فأرسل إليه فقال أين ابناك فقال هما في البيت فقال قد عفونا عنهما بصدقك وقال الحارث الغزي آلى ربيع بن خراش أن لا يصير ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره فما ضحك إلا بعد موته وآلى أخوه ربعي بعده أن لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار . قال الحارث ولقد أخبرني غاسله أنه لم يزل متبسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا من غسله .

وروينا عن أحمد بن عبدالله قال اجتمع قراء أهل الكوفة في منزل الحكم بن عتيبة فأجمعوا على أن أقرأ أهل الكوفة طلحة بن مصرف فبلغه ذلك فقعد إلى الأعمش يقرأ عليه ليذهب ذلك الاسم عنه . قلت عتيبة بتاء مثناة من فوق ثم ياء مثناة من تحت ثم باء موحدة ومصرف بضم الميم وفتح الصاد المهملة وكسر الراء المشددة على المشهور. وقيل بفتح الراء . وعن الإمام الشافعي رحمه الله قال قيل لأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه يا أبا المنذر عظني قال وأخي الاخوان على قدر تقواهم[1] ولا تجعل لسانك بدأت

---

(١) أشار إلى آية ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ أي بالدين ودعامة الدين هي التقوى فكلما زادت اشتدت أواصر القرابة واستحكمت أوشاج النسب الديني فعلى قدر تقواه يعامل ويوثق به وفاقدها لا يستحق المعاملة الأخوية لانتفائها وأكد ذلك بقوله ولا تجعل لسانك بداة لمن لا =

لمن لا يرغب فيه ولا تغبط الحي إلا بما تغبط به الميت . وعن الشافعي رحمه الله قال قال فضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه كم ممن يطوف بهذا البيت وآخر بعيد منه وأعظم أجراً منه . وعن الشافعي عن فضيل قال قال داود النبي ﷺ إلهي كن لابني كما كنت لي فأوحى الله تعالى إليه يا داود قل لابنك يكن لي كما كنت لي أكون له كما كنت لك . وعن الشافعي رحمه الله قال قال هشام بن عبدالملك ارفع حاجتك إلي فقال قد رفعتها إلى الجواد الكريم . وروينا في رسالة القشيري رحمه الله في باب كرامات الأولياء قال كان لجعفر الخلدي فص فوقع يوماً في دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد فدعا به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها . قال القشيري سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول إن ذلك الدعاء يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي . قلت وقد جربت هذا الدعاء فوجدته نافعاً سبباً لوجود الضالة على قرب غالباً وأنه لم ينخرم . وسمعت شيخنا أبا البقاء يقول نحو ذلك وهو علمنيه أولا (قوله فص) هو بفتح الفاء وكسرها لغتان الفتح أجود . وأما جعفر الخلدي هو بضم الخاء المعجمة وإسكان اللام قال الحافظ الامام أبو سعيد السمعاني في الأنساب الخلد محلة ببغداد ينسب إليها صبيح الراوي عن عثمان بن عفان وعائشة رضي الله تعالى عنهما . قال وأما جعفر بن محمد بن نصر الخلدي الخواص أبو محمد أحد مشايخ الصوفية له كرامات ظاهرة وإنما قيل له الخلدي لأنه كان يوماً عند الجنيد فسأل يوماً على مسألة فقال الجنيد أجبهم فأجابهم فقال له الجنيد من أين لك هذه الأجوبة فقال من خلدي فبقي عليه هذا الاسم حتى توفي سنة ثمان وأربعين وثلثمائة روى عنه الدارقطني وأبو حفص بن شاهين وغيرهما وكان ثقة روى عن الحارث بن أبي أسامة وغيره وقال أحمد بن أبي الحواري

= يرغب فيه لتكلمه وتميل إليه فتكون سبباً في أذيته إذ تكون حببت إليه عمله وحسنت في عينه ما استحق من النفرة فصرت شريكاً له في العمل بدون أن يعود عليك شيء غير الوزر والخطيئة وكما أن الميت لا يحسده الإنسان ولا تسول له نفسه هضم حقه فليكن الحي كذلك ليكون أدل على إخلاصك وتقواك .

في كتاب الزهد سمعت بعض أصحابنا أظنه أبا سليمان يعني الداراني رضي الله عنه قال لإبليس شيطان يقال له متقاض يتقاضى ابن آدم عشرين سنة ليخبر بعمله الذي يعمله سراً فيظهر له ليزيح عنه ما بين السر والعلانية[1] ورويناً عن إبراهيم بن سعيد قال قلت لأبي سعد بن إبراهيم بم فاتكم الزهري قال كان يأتي المجالس من صدورها[2] ولا يأتيها من خلفها ولا يبقى في المجلس شاب إلا سائله ولا كهل إلا سائله ولا عجوز ولا فتى إلا سائله ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقى فيها شاب إلى سائله ولا كهل إلا سائله ولا عجوز إلا سائلها ولا كهلة إلا سائلها حتى يحاور أرباب الحجول . ومن أحسن ما يتأدب به في ترك الاعتناء بحسن اللباس والمأكل والمشرب ونحوها ما روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بإسنادنا إلى أبي عوانة الاسرايني قال حدثنا أبو حبيب المصيصي حدثنا حجاج قال سمعت شعبة يحدث عن قتادة قال سمعت أبا عثمان النهدي رحمه الله قال أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد .

أما بعد فاتزروا وارتدوا وانتعلوا وارموا بالخفاف والقوا السراويلات وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل ﷺ وإياكم والتنعم وزي العجم وعليكم

---

(١) وذلك لأنه لما لم يستطع أن يحول دون عمله ولم يتمكن من إفساده أراد أن لا يتقاضى أجراً عظيماً إذ من المعلوم أن الأجر على عمل السر يزيد أضعافاً مضاعفة على عمل العلانية لأن الأول يدل على تمام الإخلاص وهذا فيما لم يجعله الشارع علانية كالصلاة والزكاة لأن أسراره حينئذ يسبب اضراره مادة وعلى الأقل معنى وكذلك الذي يقتدي الناس بعمله فيبغي أن تكون أعماله علانية ليتبعه الناس في عمل الخير والطريق المشروع ولا يلام الشيطان على حرصه لهذه الدرجة يصبر السنين الطوال ليحرم عابداً من بعض ما يستحقه لأنه عدو منذ زمن أبينا آدم وإنما العجب أنه ولم يتطرق اليأس إلى نفسه وهو على الباطل ـ السنا أولى بأن يتسرب اليأس إلينا ونحن على الحق وقد أمرنا الله بالصبر والثبات ووعدنا عليه الأجر الجزيل والنجاح والتوفيق قال تعالى ﴿ إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

(٢) قوله من صدورها لأنه يبكر قبل غيره فيتسنى له أن يجلس بالصدر لشد شغفه بالعلم وحبه للتحصيل فلا تمنعه العوائق ليأتي في الزمن الأخير فإن من يأتي متأخراً لا يجد طريقاً إلا من الخلف ويضطر للبقاء في محله وتضيع منه فوائد كثيرة فلو عجل كالزهري لنال ما نال من العلم والفضل .

بالشمس فإنها حمام العرب[1] وتمعددوا وأخشوشنوا واخلولقوا واقطعوا الركب وارموا الأغراض . قوله اخلولقوا لم أقف على ضبطه ولعلها بالخاء المعجمة من قول العرب اخلولق السحاب إذا استوى واخلولق الرسم إذا استوى بالأرض . أما ضبط ألفاظه فالمصيصي بكسر الميم والصاد المشددة ويقال بفتح الميم وتخفيف الصاد والأول أشهر وأرجح نسبة إلى المصيصة البلدة المعروفة بناحية طرسوس ببلاد الأرمن[2] وأبوعثمان النهدي بفتح النون وإسكان الهاء منسوب إلى جد له من أجداده والأول اسمه نهد بن زيد بن ليث . واسم أبي عثمان عبدالرحمن بن مل بفتح الميم وضمها وكسرها واللام مشددة فيها . ويقال ملء بكسر الميم وإسكان اللام وبعدها همزة وهو من كبار التابعين المخضرمين وأحدهم مخضرم بفتح الراء وهو من أدرك الجاهلية . والإسلام وحياة رسول الله ﷺ ولم يره ﷺ وقد بينت هذا القدر من حالة في الإرشاد في علوم الحديث الذي اختصرته من كتاب الشيخ أبي عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى . وكان أبو عثمان رحمه الله عظيم القدر كبير الشأن

---

(١) وأصبح اليوم يعالج بالشمس كثير من الأمراض وأن الأطباء توصي بالإقامة فيها حفظاً للصحة ورضي الله عن عمر فقد جمع في وصيته العلم والحكمة والطب والمصلحة والسياسة وتعليم أبواب الحرب . أوصى بأن يحافظوا على لباس إسماعيل ﷺ لسعته وانفراجه حيث يحفظ الصحة وتجري الرياح من داخله ويتعرض قسم من البدن للشمس ليستفيد من حرارتها وليحفظ للأمة العربية تقاليدها ولم يكتف بهذا حتى نهانا عن التزي بزي العجم من أنه يستفاد من قوله السابق حرصاً منه على محافظة العوائد الملية التي لا تتعارض مع الشريعة وكأنه ينظر إلينا من ظهر غيب حيث صار التزيي بالأعاجم فخراً لنا ويبلغ من بعض الحكومات الشرقية صورة أن قد سفكت دماء غزيرة في سبيل ترويج الزي الافرنجي ثم نهى عن التنعم لأنه يورث الخمول والبطالة والكسل ويحدث الجبن والخوف لأن ترف الأمة هرم لها وعلامة كبرى لاضمحلالها وأمر برمي الأغراض لتكون الأمة حربية تدرس ما يتعلق بالحرب في بيوتها حتى إذا ما دعوا للجهاد كانوا على أهبة يقدرون على الدفاع والكفاح فالمدرب بالحرب لا يقف أمامه عشرات ممن لا يعلم عن الحرب وإن كان أقوى بدناً وأصلب عضلات وأمر بأن يتروا وهو أن يثبوا على الخيول ليتعودوا على النشاط ويحاربوا على ظهورها كما يحاربون على ظهر الأرض فإن الفن والمعدات مهما ترقت وتقدمت فلا غنى للحرب عن استعمال الخيول ما دامت الأرض مشتملة على الجبال والوديان والحزن والوعر .

(٢) من المعلوم أن المصيصة عربية محضة لأنها شرقي الدرب المشهور ببزنتي آخر حدود البلاد العربية وإنما قال بلاد الأرمن لأنهم احتلوها في الحروب الصليبية .

قال بلغت نحوا من ثلاثين ومائة سنة وما من شيء إلا وقد أنكرته إلا أملي فإني أجده كما هو . ولما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه تحول من الكوفة إلى البصرة وقال لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله ﷺ مات سنة خمس وتسعين من الهجرة وقيل سنة مائة رحمه الله بأذربيجان . هو إقليم معروف . وفي ضبطه وجهان مشهوران أحدهما بإسكان الذال المعجمة من غير مد وفتح الراء وبعدها باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم جيم والثاني بمده في أوله وفتح الذال وإسكان الراء وقوله وزي العجم هو بكسر الزاي وقوله وتمعدوا أي تخلقوا بعادة أبيكم معد بن عدنان في خشونة العيش . واختلف النحويون في ميم معد هل هي أصلية أم زائدة فقال سيبويه أصلية وغيره يقول زائدة وقوله أرموا الأغراض أي ارموا بالقسي وقوله وتروا معناه إذا ركبتم الخيل فبتوا من الأرض ولا ترتفعوا على حذر ونحوه ولا تركبوا بالركب المعتادة للعجم في سروجهم .

أخبرنا الشيخ الفقيه المسند أبو محمد عبدالرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري قال أخبرنا الحافظ عبدالقادر الزهاوي قال حدثنا القاضي أبو سليمان داود بن محمد بن الحسين الخالدي قال أخبرنا عمر بن محمد بن أحمد النسفي أخبرنا الحسن بن عبدالملك أخبرنا الحسين بن محمد بن نعيم أخبرنا عبدالله بن محمد بن أحمد بن يعقوب أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عيسى بن حميد الراسي أبو همام حدثنا أبو حفص النضر عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه أتى رجلاً يسأله عن ستر المؤمن فقلت لست أنا ذاك ولكن ذاك رجل يقال له شهابٌ فسار جابر فأتى عاملها يعني عامل البلدة الوالي رجلا يقال له مسلمة فأتى الباب فقال للبواب قل للأمير ينزل إلي فدخل البواب وهو متبسم فقال له الأمير ما شأنك قال رجل على بعير قال قل للأمير ينزل إلي فقال ألا سألته من هو فرجع فسأله فقال أنا جابر بن عبدالله الأنصاري فرجع إلى الأمير وأخبره فوثب عن مجلسه فأشرف عليه وقال اصعد فقال جابر ما أريد أن أصعد ولكن حدثني أين منزل شهاب قال اصعد فأرسل إليه فيقضي حاجتك فقال لا أريد أن يأتيه

رسولك فإن رسول الأمير إذا جاء رجلاً راعه ذاك وأنا أكره أن يروع رجل من المسلمين[1] بسببي فنزل الأمير يمشي معه حتى أتى شهاباً فأشرف عليهم شهاب فقال إما أن تصعدوا وإما أن أنزل إليكم قال جابر ما أريد أن تنزل إلينا وما نريد أن نصعد إليك ولكن حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول : من ستر على أخيه المؤمن فكأنما أحياه . ومما أنشدوا في اكرام من له نسبة إلى المحبوب قول بعضهم :

الا حي الديار بسعد اني   أحب لحب فاطمة الديارا

سعد بضم السين المهملة وإسكان العين اسم موضع بنخل قال أبو بكر الهمذاني في كتاب الاشتقاق أصله سعد بضم مخفف بإسكانها وهو جمع سعيد كرغيف ورغف وإنما لم يصرفه الشاعر وإن كان مذكوراً لأنه جعله اسماً لأرض بعينها ويشبه هذا قول الآخر :

أحب الأيامي إذ بثينة أيم   وأحببت لما ان عنيت الغواني

الأيامي النسوة التي لا أزواج لهن والغواني المزوجات وقوله عنيت هو بكسر التاء أي تزوجت وهذا الضرب من بديع الكلام أن يرجع من الغيبة إلى المخاطبة فقال بثينة ثم قال عنيت وله نظائر كثيرة في القرآن العزيز منها قوله تعالى ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك﴾ وقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ وهو جاء عكسه وهو الرجوع من الخطاب إلى الغيبة فمن ذلك قوله تعالى ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ . أخبرنا الأنباري عبدالحافظ أخبرنا عبدالقادر الرهاوي أخبرنا عبدالرحيم بن علي الشاهد أخبرنا محمد بن طاهر المقدسي الحافظ أخبرنا أبو الفتح المفيد

---

(١) بهذا الحب والشفقة والحنان والأدب والعطف على بعضهم انتشر الاسلام في جميع الأقطار واستولى المسلمون على معظم بلدان العالم ولا يصلح فساد هذه الأمة إلا بما صلح أولها وكان عليهالصحابة الكرام والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) وقال غيره :

مررت على الديار ديار ليلى   اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

فما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

أخبرنا أبو الحسن بن علي بن محمد بن طلحة حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني قال سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله قال كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعت المشي وكان معنا رجل منهم ماجن في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزىء فما زال في موضعه حتى جفت رجلاه وسقط . وقال الحافظ عبدالحافظ إسناد هذه الحكاية كالوجد أو كرأي العين لأن رواتها أعلام أئمة .

وبالاسناد إلى المقدسي قال أخبرنا أبو الحسين يحيى بن الحسين العلوي أخبرنا ابن الحسين الضبعي : قال سمعت عبدالله بن محمد بن محمد العكبري يقول سمعت أبا عبدالله محمد بن يعقوب المتوثي يقول سمعت أبا داود السجستاني يقول كان في أصحاب الحديث رجل خليع إلى أن سمع بحديث النبي ﷺ أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع فجعل في عقبيه مسامير حديد وقال أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابه أكلة في رجليه . قلت المتوثي بميم مفتوحة ثم تاء مثناة من فوق مشددة مضمومة وواو ساكنة ثم ثاء مثلثة ثم ياء النسب .

وذكر الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي رحمه الله في كتابه شرح صحيح مسلم هذه الحكاية فيها وشلت رجلاه ويداه وسائر أعضائه . قال وقرأت في بعض الحكايات أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي ﷺ « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها فإنه لا يدري أين باتت يده » . قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم أنا أدري أين باتت يدي في الفراش فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه . قال التيمي فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما .

قلت ومعنى هذاالحديث ماقاله الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وغيره من العلماء رضي الله تعالى عنهم أن النائم تطوف يده في نومه على

بدنه فلا يأمن أنها مرت على نجاسة من دم بشرة أو قملة أو برغوث أو على محل الاستنجاء وما أشبه ذلك والله أعلم .

قوله شلت يداه أي يبست وبطلت حركتها وهو بفتح الشين على اللغة الفصيحة وفيها لغة أخرى بضمها والله أعلم . قلت ومن هذا المعنى ما وجد في زماننا هذا وتوارثت به الأخبار وثبتت عند القضاة أن رجلا بقرية ببلاد بصرى في أوائل سنة خمس وستين وستمائة كان شاب سيء الاعتقاد في أهل الخير وله ابن يعتقد فيهم فجاء ابنه يوماً من عند شيخ صالح ومعه مسواك فقال ما أعطاك شيخك ؟ مستهزئاً قال هذا المسواك فأخذه منه وأدخله في دبره احتقاراً له فبقي مدة ثم ولد ذلك الرجل الذي أدخل المسواك في دبره جرواً قريب الشبه بالسمكة فقتله ثم مات الرجل في الحال أو بعد يومين عافانا الله الكريم من بلائه ووفقنا الله لتنزيه السنن وتعظيم شعائره .

أخبرنا الشيخ الفقيه المسدد أبو محمد عبدالرحمن بن سالم الأنباري رحمه الله أخبرنا القاضي الإمام أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري أخبرنا الإمام أبوالفتح نصرالله بن محمد بن عبدالقوي المصيصي أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الزاهد رضي الله تعالى عنه أخبرنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي فيما كتب إلي قال أخبرنا أحمد بن يعقوب الهروي قال حدثنا أبو عبدالله الروزبادي حدثنا عمر بن مخلد الصوفي قال قال ابن أبي الورد قال معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه علامة مقت الله تعالى للعبد أن تراه مشتغلاً بما لا يعنيه[1] .

أخبرنا شيخنا الحافظ أبو البقاء رحمه الله أخبرنا أبو محمد أخبرنا القاضي أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا أبو سعيد يعني محمد بن موسى بن

---

(١) وذلك لأنه خالف قول النبي ﷺ حيث حذر من الاشتغال بما لا يعني فقال « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فيكون لم ينل إسلاماً حسناً ونقص حظه في الآخرة فاشتغاله بما لا يعنيه لا يعود عليه بنفع في الدنيا وهذا هو حقيقة المقت لأنه لم يرض الشريعة ولم يحصل على الدنيا ذلك هو الخسران المبين .

الفضل بن إبراهيم قال سمعت الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول تسأله الجنة وتأتي ما يكره ما رأيت أحداً أقل نظراً منك لنفسك[1] .

أخبرنا أبو البقاء حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن السراج قال سمعت أبا بكر أحمد بن السائح قال سمعت القاسم بن محمد صاحب سهل يقول سمعت سهل بن عبدالله يقول ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى ولا طريق إليه أقرب من الافتقار[2] .

وروينا بأسانيد صحيحة عن أبي يحيى النكراوي قال ما رأيت أعبد لله من شعبة حتى جف جلده على عظمه ليس بينهما لحم وبلغنا عن الشافعي رحمه الله قال خير الدنيا والآخرة في خمس خصال غنى النفس وكف الأذى وكسب الحلال ولباس التقوى والثقة بالله عز وجل على كل حال .

وعن الشافعي رحمه الله تعالى قال من غلبت عليه شدة الشهوة لحب الدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنوع[3] زال عنه الخضوع .

---

(١) حيث أتيت بالمتناقضين فدل على أن في عقلك نقصاناً أو أنك تستهزىء بأوامر الله وهذا هو البلاء العظيم وطامة العذاب الكبرى من أراد أن يقبل الله دعاءه فليقدم الشفيع وهو تقوى الله وامتثال ما أمره .

(٢) لأن الأولى ناجمة عن الأنانية فيكون مقلداً لابليس في دعواه وأنانيته حيث قال أنا خير منه . والثانية علامة العبودية فتكون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدوته في ذلك وهم نعم المقتدى ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ ومدح النبي ﷺ في العبودية في أشرف المقامات ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ ومن مزايا الافتقار أنه يمنح المتصف به نسبة إلى ربه ﴿ عبداً من عبادنا ﴾ الآية .

(٣) القنوع السؤال فإن السائل يقل حياؤه فيذهب خضوعه لله لانشغاله عنه بالناس الذين يطلب منهم حوائجه ولربما لا يخطر له الخضوع فينتقل من عبودية الله التي هي الحرية والشرف إلى عبودية البشر فيصير مملوكاً لهم ذليلاً حقيراً . وهذا مثال البيتين المنسوبين للامام الشافعي رحمه الله :

العبد حر ان قنع والحر عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما شيء يشين سوى الطمع

فإن قنع من الباب الثالث مفتوحة عين الفعل في الماضي والمضارع بمعنى سأل ومصدره =

وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب . وقال الشافعي رضي الله تعالى أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان . وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ورحمه أفضل الأعمال ثلاثة ذكر الله تعالى ومواساة الاخوان وإنصاف الناس من نفسك : يعني هذه الثلاثة من أفضل الأعمال . وقال الشافعي رحمه الله لا يعرف الرياء إلا مخلص . يعني لا يتمكن في معرفة حقيقته والاطلاع على غوامض خفياته إلا من أراد الإخلاص فإنه يجتهد أزماناً في مطاولة البحث والفكر والتنقيب عنده حتى يعرفه أو يعرف بعضه ولا يحصل هذا لكل أحد وإنما يحصل هذا للخواص . وأما من يزعم من آحاد الناس أنه يعرف الرياء فهو جهل منه بحقيقته .

وسأذكر في هذا الكتاب بابا إن شاء الله تعالى ترى فيه من العجائب ما تقر به عينك إن شاء الله تعالى ، ويكفي في شدة خفائه ما رويناه عن الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري رحمه الله في رسالته بإسنادنا المتقدم عنه قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه كنت ثنتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين كنت مرآة قلبي وسنة أنظر فيما بينهما فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه ثنتي عشرة سنة ثم نظرت فإذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لي فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات .

قلت يكفي في شدة خفاء الرياء اشتباهه هذا الاشتباه على هذا السيد الذي عز نظيره في هذا الطريق وأما قوله فرأيتهم موتى فهو في غاية من النفاسة

= القنوع وقنع بكسر النون من الباب الرابع بمعنى رضى ومصدره القناعة ونقل صاحب اللسان عن ابن السكيت أن من العرب من يجيز القنوع بمعنى القناعة وعليه فيكون من رضي بالقناعة زال عنه الخضوع للناس لاستغنائه عنهم وعدم احتياجه إليهم فيكون مقابلاً للفقرة الأولى وهي لزوم عبودية من غلبت عليه الشهوة لأهل الدنيا .

والحسن قل إن يوجد في غير كلام النبي ﷺ كلام يحصل معناه وأنا أشير إلى معناه بعبارة وجيزة فمعناه أنه لما جاهد هذه المجاهدة وتهذبت نفسه واستنار قلبه واستولى على نفسه وقهرها وملكها ملكاً تاماً وانقادت له انقياداً خالصاً نظر إلى جميع المخلوقين فوجدهم موتى لا حكم لهم فلا يضرون وله ينفعون ، ولا يعطون ولا يمنعون ولا يحيون ولا يميتون ولا يصلون ولا يقطعون ولا يقربون ولا يبعدون ولا يسعدون ولا يشقون ولا يرزقون ولا يحرمون ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا ، وهذه صفة الأموات أن يعاملوا معاملة الموتى في هذه الأمور المذكورة وأن لا يخافوا ولا يرجوا ولا يطمع فيما عندهم ولا يراؤوا ولا يداهنوا ولا يشتغل بهم ولا يحتقروا ولا ينتقصوا ولا تذكر عيوبهم ولا تتبع عثراتهم ولا ينقب عن زلاتهم ولا يحسدوا ولا يستكثر فيهم ما أعطاهم الله تعالى من نعمة ويرحموا ويعذروا فيما يأتونه من النقائص مع أنا نقيم الحدود عليهم ما جاء الشرع به من الحدوذ ولا يمنعنا إقامة الحد ما قدمناه ولا يمنعنا أيضاً ما قدمناه من إقامة الحد أنا نحرص على ستر عوراتهم من غير تنقص لهم بها يفعل ذلك بالميت وإذا ذكرهم ذاكر بشين نهيناه عن الخوض في ذلك كما ننهاه عن ذلك في الميت ولا نفعل شيئاً لهم ولا نتركه لهم ولا نمتنع من القيام بشيء من طاعات الله بسببهم ولا نمتنع من ذلك بسبب الميت ولا نتكثر بمدحهم .

ولا نحبه ولا نكره سبهم إيانا ولا نقابله فالحاصل أنهم كالعدم في جميع ما ذكرناه فهم مدبرون تجري فيهم أحكام الله تعالى فمن عاملهم هذه المعاملة جمع خير الآخرة والدنيا نسأل الله الكريم التوفيق لذلك . فهذه الأحرف كافية في الاشارة إلى شرح كلامه رضي الله تعالى عنه والله أعلم .

وروينا بإسنادنا إلى القشيري رحمه الله قال سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن يعني السلمي إمام الصوفية في زمانه وبعده قال سمعت العباس البغدادي يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري رحمه الله يقول يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما قصرت قال وكان في ذلك الوقت لا تلحقه الشباب إلى العبادة . وقال

أحمد بن أبي الحواري في كتاب الزهد حدثنا سويد قال رأيت إبن أبي مرثد في السوق وفي يده عرق ورغيف وهو يأكل وكان طلب للقضاء ففعل ذلك حتى تخلص[1] قلت العرق بفتح العين وإسكان الراء هو العظم عليه قليل لحم ومما يشبه هذا ما رواه الإمام البيهقي بإسناد عن الإمام الشافعي رحمه الله قال دخل سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه على أمير المؤمنين فجعل يتجانن عليهم ويمسح البساط ويقول ما أحسنه بكم أخذتم هذا قال البول البول حتى أخرج يعني حتى أخرج يريد أنه احتال ليتباعد عنهم[2] ويسلم من أمرهم قال الشافعي رضي الله تعالى عنه مات ابن للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما فلم ير عليه كآبة فعوتب في ذلك فقال أنا أهل بيت نسأل الله تعالى فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما يجب رضينا . وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول ما نحب من نحب إلا بطاعتهم لمؤدبهم وأنت تعصيني قد أمرتك أن تفتح أصابعك . وفي الترمذي ضمها . وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه أنه نظر إلى ابنه فاقل إني لأعلم خلة فيك قال وما هي قال تموت فاحتسبه . وعن أبي الحسن المدائني قال قيل لأعرابية ما أحسن عزاك على ابنك فقالت أن فقد أبيه أنسى المصائب بعده . وقال موسى بن المهتدي

---

(١) لو أنه تقلد القضاء وعدل بين المسلمين إما كان أعظم أجراً من انفراده بنفسه وإنكاره نعمة الله عليه وهي العقل والعلم حتى يحمل خبزه بيده يأكله وهو ماش في الأسواق ليقولوا عنه أنه مجنون لا يصلح للقضاء وليت شعري لو أن خلفه جاء ظالماً أو جاهلاً بأحكام الشريعة أما يكون هذا الشيخ آثماً عند الله ؟ لأن قبول القضاء لمن يخشى من ظلم من يخلفه أو جهله واجب عليه شرعاً يأثم بتركه حيث تعلق به الحق العام ومصلحة المسلمين فعمل ابن أبي مرثد هذا ليس من الزهد في شيء وإنما عليه مسؤولية كبرى أمام الله تعالى حيث شوق الناس إلى النفرة من عمل كان رسول الله ﷺ يقوم بنفسه في إيفائه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده فاضراب هؤلاء المشايخ عن القضاء ضربة على الإسلام لا زلنا نتجرع مرارتها حتى الآن إذ صارت العادة الجارية أن القضاء لا يتقدم إليه من أهل العلم والتقوى إلا النادر مع أنه أشرف وظيفة في الإسلام إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) كان على سفيان الثوري أن يرجح مصلحة المسلمين على راحة نفسه اللهم إلا أن يكون يريد الاشتغال بأمر أعظم حيث يريد إصلاح بلاط الملك والخلافة قبل أن يصلح دائرة القضاء بدليل أن المنصور تحرى قتله لو لم يمت في حجة تلك السنة ذكره الدميري في حياة الحيوان .

لإبراهيم بن سلم وعزاه بابنه فقال أسرك وهو بلية وفتنة وحزنك وهو صلوات ورحمة . قال وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بإبنه أما بعد فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة وإذا قدمه فصلاة ورحمة فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته . وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول أقمت عشرين سنة لم أحتلم فأحدثت بمكة حدثاً فما أصبحت حتى احتلمت فقلت وأي شيء كان الحدث قال تركت صلاة العشاء الآخرة في المسجد الحرام في جماعة .

وروينا عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه تلقى الرجل وما يلحن حرفاً وعمله لحن كله .

وروينا عن الإمام أبي بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمد بن صول المصولي بضم الصاد المهملة وإسكان الواو قال بعض الزهاد أعربنا في كلامنا فما نلحن ولحنا في أعمالنا فما نعرب قال الشاعر :

لم نؤت من جهل ولكننا ... نستر وجه العلم بالجهل
نكره أن نلحن في قولنا ... وما نبالي اللحن في الفعل

وأخبرنا الشيخ أبو محمد اسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي البشر شاكر أخبرنا أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الاكفاني حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ أخبرنا عبيدالله بن عمر الواعظ حدثني أبي حدثنا عبدالله بن محمد بن نصر بن علي الجهضمي حدثني محمد بن خالد حدثنا علي بن نصر قال رأيت الخليل بن أحمد رحمه الله في النوم فقلت في منامي لا أرى أحداً أعقل من الخليل فقلت ما صنع الله بك قال رأيت ما كنا فيه فإنه لم يكن شيء أفضل من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وفي رواية قال علي بن نصر رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت له ما فعل ربك بك قال غفر لي قلت بم نجوت قال بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قلت كيف وجدت علمك أعني العروض والأدب والشعر قال وجدته هباء منثوراً .

وبهـذاالاسناد إلى أحمـد بن علي بن ثابت قـال أنشدنـا أبو الحسن محمـد بن المظفر أنشدنا أبو بكر أحمد بن سليمان النجار أنشدنا هلال بن العلاء لنفسه :

سيبلى لســـان كــان يعــرف لفــظه فيــا ليتـه في وقفــة العــرض يسلم
ومـا ينفـع الاعـراب إن لم يكن تقى ومــا ضـر ذا التقــوى لسـان معجم

باب

في كرامات الأولياء ومواهبهم

قال الله تعالى : ﴿ ألآ إنَّ أوْليـاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عليْهِمْ وَلا همْ يَحـزَنونَ . الذينَ آمَنوا وكانُوا يتَّقونَ . لهمُ البُشْرَى في الحَياةِ الدُّنْيـا وَفي الآخرَةِ لا تَبْـديل لِكلماتِ اللّهِ ذلكَ هوَ الفَوْزُ العظيم ﴾ .

اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامـات الأولياء وأنهـا واقعة مـوجودة مستمـرة في الأعصار ويـدل عليه دلائـل العقول وصـرائح النقـول . أما دلائـل العقل فهي أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصـول الدين فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه وما كان مقدوراً كان جائز الـوقوع . وأمـا النقول فآيات في القرآن العظيم وأحاديث مستفيضة . أما الآيـات فقولـه تعالى في قصة مريم .

﴿ وهزِّي إليْكِ بجذْعِ النَّخْلةِ تُساقِطْ عليْكِ رُطباً جنيًّا ﴾ .

قـال الإمام أبـو المعالي رحمـه الله تعالى إمـام الحرمين ولم تكن مـريم بنبية باجماع العلماء وكذا قاله غيره بل كانت ولية صديقـة كما أخبـر الله تعالى عنها .

وقوله تعالى : ﴿ كلَّما دخَلَ علَيْها زكريَّا المِحْرابَ ، وَجَدَ عِنْدها رِزْقاً ، قالَ يا مَرْيمُ أنَّى لكِ هذا قالتْ هوَ منْ عندِ اللّهِ ﴾ .

ومن ذلك قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ .

قال العلماء ولم يكن نبياً . ومن ذلك ما استدل به إمام الحرمين وغيره من قصة أم موسى . ومن ذلك ما استدل به أبو القاسم القشيري من قصة ذي القرنين . واستدل القشيري وغيره بقصة الخضر مع موسى عليه السلام قالوا ولم يكن نبياً بل كان ولياً وهذا خلاف المختار والذي عليه الأكثرون أنه كان نبياً . وقيل كان نبياً رسولاً وقيل كان ولياً وقيل ملكاً . وقد أوضحت الخلاف فيه وشرحته في تهذيب الأسماء واللغات وفي شرح المهذب[1] . وفي ذلك قصة أهل الكهف وما اشتملت عليه من خوارق العادات . قال إمام الحرمين وغيره ولم يكونوا أنبياء بالإجماع .

وأما الأحاديث فكثيرة منها حديث أنس أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحدا حتى أتى أهله . أخرجه

---

(١) ونص عبارة التهذيب واختلفوا في حياة الخضر ونبوته فقال الأكثرون من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك قال وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين قال وهو نبي واختلفوا في كونه مرسلاً وكذا قاله بهذه الحروف غير الشيخ من المتقدمين . وقال أبو القاسم القشيري في رسالته في باب الأولياء لم يكن الخضر نبياً وإنما كان ولياً . وقال أقضى القضاة الماوردي في تفسيره قيل هو ولي وقيل هو نبي وقيل أنه من الملائكة وهذا الثالث غريب ضعيف أو باطل . وفي آخر صحيح مسلم في أحاديث الدجال أنه يقتل رجلاً ثم يحيا قال إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم يقال إن ذلك الرجل هو الخضر وكذا قال معمر في مسنده أنه يقال إنه الخضر وذكر أبو إسحق الثعالبي المفسر اختلافاً في أن الخضر كان في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام أم بعده بقليل أم بعده بكثير قال والخضر على جميع الأقوال نبي معمر محجوب عن الأبصار . قال وقيل أنه لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن ا هـ .

وقد ألف الحافظ بن حجر في هذا رسالة وسماها الزهر النضر في نبأ الخضر وطبعناها في الجزء الثاني من مجموعة الرسائل المنيرية . وراجع أيضاً تفسير روح المعاني للألوسي طبع المنيرية .

البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة وفي علامات النبوة هذان الرجلان عباد بن البشر وأسيد بن حضير بضم أولهما وفتح ثانيهما . وحضير بضم الحاء المهملة وبالضاد المعجمة . ومنها حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين أووا إلى الغار فأطبقت صخرة عليهم بابه فدعا كل واحد منهم بدعوة فانفرجت عنهم الصخرة وهو مخرج في صحيحي البخاري ومسلم . ومنها حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قصة جريج أنه قال للصبي الرضيع من أبوك قال فلان الراعي وهو مخرج في الصحيح . ومنها حديث أبي هريرة قال : « قال النبي ﷺ لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر » وفي رواية « قد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء » رواه البخاري في صحيحه . ومنها الحديث المشهور في صحيح البخاري وغيره في قصة حبيب الأنصاري بضم الخاء المعجمة رضي الله تعالى عنه صاحب رسول الله ﷺ . وقول ابنة الحارث فيه والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده وأنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول أنه لرزق الله رزقه خبيباً . والأحاديث والآثار وأقوال السلف والخلف في هذا الباب أكثر من أن تحصر فيكتفي بما أشرنا إليه وسترى في هذا الباب جملاً من ذلك وباقي الكتاب إن شاء الله تعالى .

قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين الذي صار إليه أهل الحق جوار انخراق العادة في حق الأولياء وأطبقت المعتزلة على إنكار ذلك ثم من أهل الحق من صار إلى أن الكرامة الخارقة للعادة شرطها أن تجري من غير إيثار واختيار من الولي وصار هؤلاء إلى أن الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه . قال الإمام وهذا القول غير صحيح . وصار آخرون منهم إلى تجويز وقوع الكرامة على حكم الاختيار ولكنهم منعوا وقوعها على مقتضى الدعوى فقالوا إذا ادعى الولي الولاية واعتضد في إثبات دعواه بما يخرق العادة فكان ذلك ممتنعاً . وهؤلاء فرقوا بين الكرامة المعجزة بهذا قال وهذه الطريقة غير مرضية أيضاً قال ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة . قال

وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة النبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وينقلب العصا ثعباناً ويحيي الموتى إلى غير ذلك من آيات الأنبياء كرامة لولي . قال الإمام وهذه الطريقة غير سديدة أيضاً قال والمرضى عندنا جواز خوارق العادات في معارض الكرامات وقال غرضنا من إبطال هذه المذاهب والطرق إثبات الصحيح عندنا . قال وأما الفرق بين المعجزة والكرامة فلا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة ووقوع دون ادعاء النبوة . قال الإمام وقد جرى من الآيات في مولد رسول الله ﷺ ما لا ينكره منتم إلى الإسلام وذلك قبل النبوة والانبعاث . والمعجزة لا تسبق دعوى النبوة فكان كرامة قال فإن زعم متعسف أن الآيات التي استدللنا بها كانت معجزات لنبي كل عصر فذلك اقتحام منه للجهالات فإنا إذا بحثنا عن الأعصار الخالية لم نجد الآيات التي تمسكنا بها مقترنة بدعوى نبوة ولا وقعت عن تحدي متحد فإن قالوا وقعت للأنبياء دون عوامهم قلنا شرط المعجزة الدعوى فإذا فقدت كانت خارقة للعادة كرامة للأنبياء ونجعل ذلك غرضنا إلى إثبات الكرامات . ولم يكن وقت مولد نبينا محمد ﷺ نبي تستند آياته . قال الإمام فقد وضحت الكرامات جوازاً ووقوعاً سمعاً وعقلاً . قال الامام وغيره في الفرق بين السحر والكرامة أن السحر لا يظهر إلا على فاسق قال وليس ذلك من مقتضيات العقل ولكنه ملقى من إجماع الأمة . قال الامام ثم الكرامة وإن كانت لا تظهر على فاسق معلن بفسقه فلا تشهد بالولاية على القطع إذ لو شهدت بها لأمن صواحبها العواقب وذلك لم يجز لولي في كرامة باتفاق . هذا آخر كلام إمام الحرمين .

قال الامام الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله فيما رويناه في رسالته ظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله فمن لم يكن صادقاً فظهور مثله عليه لا يجوز قال ولا بد من أن تكون الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله قال وتكلم أهل الحق في الفرق بين الكرامة والمعجزة فكان الإمام أبو إسحاق الاسفرايني رحمه الله يقول المعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوة لا

يوجد مع غير النبي . وكان يقول الأولياء لهم كرامات منها إجابة سنة الدعاء فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا . وقال الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى المعجزات دلالات الصدق فإن ادعى صاحبها النبوة دلت على صدقه وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت على صدقه في حالته فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات للفرق وكان رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزات والكرامات أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بإظهارها والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها والنبي يدعي ويقطع القول به والولي لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك فكراً وقال أوحد وقته في فنه القاضي أبو بكر الباقلاني رضي الله تعالى عنه المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تظهر للأولياء ولا يكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة إقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة واحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولي لا يدعي النبوة فالذي يظهر لا يكون معجزة .

قال القشيري وهذا الذي قاله هو الذي نعتمده وندين به فشرائط المعجزة كلها أو أكثرها توجد في الكرامة إلا هذا الشرط الواحد فالكرامة فعل لا محالة وهو ناقض للعادة وتحصل في زمن التكليف على عبد تخصيصاً له وتفضيلاً ، وقد يحصل اختيارية ودعائية وقد لا تحصل وقد تكون بغير اختياره في غالب الأوقات ولم يؤمر الولي بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئاً من ذلك عمن يكون أهلا له لجاز .

واختلف أهل الحق في الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا ؟ فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول لا يجوز لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول بجوازه وهو الذي نؤثره ونقول به وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء حتى يكون لكل ولي يعلم أنه ولي واجباً ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما لا يجوز أن يعلم بعضهم فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته تلك كرامة له وانفرد بها وليس كل كرامة

لـولي يجب أن تكون تلك بعينهـا لجميع الأوليـاء بل إذا لم يكن لـولي كرامـة ظاهرة في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً بخلاف الأنبياء[1] فـإنه يجب أن تكـون لهم معجزات لأن النبي مبعـوث إلى الخلق فبالنـاس حاجـة إلى معرفـة صدقه ولا يعلم إلا بالمعجزة ، وحال الولي بعكس ذلك لأنه ليس بواجب على الخلق ولا على الـولي العلم بأنـه ولي والعشرة من الصحـابـة رضي الله عنهم صـدقوا رسـول الله ﷺ في أنهم من أهل الجنـة . وأما قـول من قال لا يجـوز ذلك لأنهم تخرجهم من الخـوف فلا بـأس أن لا يخافـوا تغيير العـاقبة والـذي يجدونه في قلوبهم من الهيبـة والتعظيم والاجـلال للحق سبحانـه وتعالى يـزيد على كثير من الخوف .

قـال الاستاذ القشيـري واعلم أنه ليس للولي مسـاكنة إلى الكـرامـة التي تـظهر عليـه ولا ملاحـظة وربما يكـون لهم في ظهور جنسهـا قوة يقين وزيـادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله تعالى فيستدلون بهـا على صحة مـا هم عليه من العقائد والله أعلم .

فصل

قال القشيري رحمه الله إن قيل كيف يجوز إظهار الكـرامات الـزائدة في المعاني على معجزات الرسل ؟ قلنا هذه الكرامة لاحقة بمعجزات نبينا محمـد ﷺ لأن كـل من ليس بصادق في الإسـلام تمتنـع عليـه الكـرامـات فكـل نبي ظهرت له كرامة على واحـد من أمته فهي معـدودة من جملة معجزاتـه إذ لو لـم يكن ذلـك الرسـول صادقـاً لم تظهـر على من تـابعـه المعجـزة يعني التي هي الكرامة لهذا الواحد .

---

(١) الـذي يظهـر أنه أراد الأنبيـاء الرسـل أصحـاب الشـرائع لأن هؤلاء هم الـذين يحتـاج النـاس لتصـديقهم إلى معجزة كي يعملوا بشـريعتهم وإلا فإن النبي إنسـان أوحي إليـه شـرع وإن لم يؤمر بتبليغه فما دام غير مأمور بـالتبليغ يقتضي أن لا تكـون المعجزة واجبـة في حقه اللهم إلا أن يقصد من النبي الرسول أو ماشياً على القول بترادفهما .

فصل

قال القشيري هل يجوز تفضيل الولي على النبي قلنا رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للاجماع المنعقد على ذلك .

فصل

قال الأستاذ القشيري رحمه الله هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء في وقت عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف وغير ذلك من فنون الأفعال المناقضة للعادة .

قال واعلم أن كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لا تجوز أن تقطع كرامة للأولياء وبالضرورة أو شبه الضرورة يعلم ذلك فمنها حصول إنسان من غير أبوين . وقلب جماد بهيمة وأمثال هذا كثيرة .

فصل

قال القشيري يحتمل الولي أمرين أحدهما أن يكون فعيلاً مبالغة في الفاعل كالعليم بمعنى العالم والقدير بمعنى القادر فيكون معناه توالت طاعته من غير تخلل معصية . والثاني أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يتولى الله سبحانه وتعالى حفظه وحراسته على الادامة والتولي فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة المعصية ويدوم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة[1] قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين .

---

(١) قوله قدرة الطاعة مشي فيه على مذهب الأشعري فإن عنده التوفيق هو خلق القدرة على الطاعة وأما مذهب إمام الحرمين فإن التوفيق عنده هو الطاعة ولذا قال الجلال الدواني الصديقي قلت الظاهر ما قاله الإمام فإن القدرة على الطاعة متحققة في كل مكلف اللهم إلا أن يكون المراد القدرة المؤثرة القريبة التي هي مع الفعل اهـ وعلى كل فإن تعريف الأشعري بعد تأويله يعود إلى ما قاله الإمام كما فصله الكلنبوي فكان تعريف إمام الحرمين أولى لأنه أخصر ولا يحتاج إلى تأويل .

فصل

أمـا العبـد الصـالـح فينـطلق على النبي والـولي قـال الله تعـالى : ﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصـالحين ﴾ وقـال تعـالى : ﴿ أولئـك الـذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ وفي الحديث الصحيح « أن النبي ﷺ قال في عبـدالله بن عمر أنـه رجل صـالح » والآيـات والأحاديث بمعنى مـا ذكرتـه كثيرة .

وأما حد الصالح فقال الإمام أبو إسحاق الزجاج في كتـابه معـاني القرآن وأبو إسحاق بن قرقول صـاحب مطالـع الأنوار هـو المقيم بما يلزمـه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد .

فصل

قـال الإمام القشيـري فإن قيـل هل يكـون الولي معصـوماً أم لا قلنـا اما وجـوباً كمـا يقال في حق الأنبيـاء فلا وإمـا أن يكون محفـوظاً فـلا يصـر على الذنوب وإن حصلت هفوات في أوقات أو زلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم . وقد قيل للجنيد العارف يزني فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال وكان أمـر الله قدراً مقدوراً .

فصل

قـال القشيري رحمـه الله فإن قيـل هل يسقط الخـوف عن الأوليـاء قلنـا الغالب على الأكابر كان الخوف وذلك فيمـا تقدم على جهـة الندرة يعني القلة غير ممتنع وهذا السري السقطي رضي الله تعالى عنه يقول لـو أن واحداً دخـل بستاناً فيـه أشجار كثيـرة وعلى كل شجـرة طير يقـول له بلسـان فصيح السـلام عليك يا ولي الله ولم يخف أنه مكر لكان ممكوراً به وأمثال هذا من حكايـاتهم كثيـرة . قال فـإن قيل هـل يجوز أن يـزايل الـولي خـوف المكـر قلنـا إن كـان مصطلماً عن شاهده مختطفاً عن إحساسة بحاله فهو مستهلك عنه فيمـا استولى

عليه والخوف من صفة الحاضرين بهم .

فصل

قال القشيري فإن قيل ما الغالب على الولي في حال صحوه قلنا صدقه في أداء حقوق الله تعالى ثم رأفته وشفقته على الخلق في جميع أحواله ثم انبساط رحمته للخلق كافة ثم داوم تحمله عنهم بجميل الخلق وابتداؤه بطلب الإحسان من الله تعالى إليهم من غير التماس منهم وتعلق الهمة بنجاة الخلق وأمنهم والتوقي عن استشعار حقهم عليهم مع قصر اليد عن أموالهم وترك الطمع بكل وجه فيهم وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون عن شهود مساويهم ولا يكون خصماً في الدنيا والآخرة[1] قلت معناه أنه يعفو عن حقوقه في الدنيا فلا يطالبهم بها في الدنيا فلا يبقى له عندهم شيء يطالب به في الآخرة . قال الله تعالى ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ وقال تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ وروينا في كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني بإسناده عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا ومن أبو ضمضم يا رسول الله قال كان إذا أصبح قال اللهم إني وهبت نفسي وعرضي لك فلا يشتم من شتمه ولا يظلم من ظلمه ولا يضرب من ضربه »[2]

---

(١) هذه صفة المؤمن حقا فتخصيصها بالولي يسوق الناس إلى اعتقادهم أنهم عاجزون عن أن يصلوا إلى هذه الأعمال بسبب أنها خاصة للولي والولاية هبة من الله تعالى يعطيها لمن يشاء ولا يقدر الإنسان أن يتوصل إليها بسعيه وكثير من المتصوفة يهول الأمر حتى يجعل غالب الناس يعتقد أن الوصول لمرتبة الولاية أمر دونه خرط القتاد مع أن الولاية هي الاستقامة على الشريعة المحمدية واتباع أحكام الدين وما ذكروه من الصفات قد أمر الله به وخاطب الناس ليعملوا بموجبه فهو ليس بالأمر الصعب ولا الخارق للعادة بل إنه ضروري لكل مسلم ومن نقص عن عمله فإن في اعتقاده خللا إلا ما كان من الأعمال الكمالية التي يجازي على فعلها ولا يعاقب على تركها وليتهم قالوا بدل « ولي » مؤمن كي لا تخور عزيمة المسلم ويعتقد أن ليس في وسعه التحقيق بهذه الصفات المشروعة المستفاد معظمها من الأحاديث متى مر ذكرها في هذا الكتاب وكلها مستفادة من الكتاب والسنة قطعاً .

(٢) واليه أشارت الآية ﴿ وإن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ .

قلت معناه لا يقتص ممن ظلمه كما قال الله تعالى ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

فصل

قال القشيري واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعة والعصمة من المعاصي والمخالفات قد يدخل في المخالفات ما ليس معصية كالمكروه كراهة التنزيه وكترك الشهوات التي يستحب تركها .

فصل

قال القشيري فإن قيل فهل تجوز رؤية الباريء تبارك وتعالى بالأبصار اليوم في الدنيا من جهة الكرامة ؟ قلنا الأقوى أنه لا يجوز لحصول الاجماع عليه قال ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يحكي عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله أنه قال في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير قلنا قد نقل جماعة الإجماع[1] على أن رؤية الله تعالى لا تحصل للأولياء في الدنيا لا لامتناعها وإلا فهي ممكنة بالعقل عند أهل الحق . وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في رؤية النبي ﷺ ربه سبحانه وتعالى الإسراء والمختار عند الأكثرين أو الكثيرين أنه رأى وهو قول ابن عباس وقد بسطت مقاصد ذلك في أوائل شرح صحيح مسلم رحمه الله .

فصل

قال القشيري فإن قيل هل يجوز أن يكون ولياً في الحال ثم تتغير عاقبته ؟ قلنا من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لا يجوز ذلك ومن قال إنه في الحال مؤمن على الحقيقة وإن جاز أن يتغير حاله لا يبعد أن يكون ولياً

---

(١) قال في الشيبانية :

ومن قال في الدنيا يراه بعينه ... فذلك زنديق طغا وتمردا
وخالف كتب الله والرسل كلها ... وزاغ عن الشرع الشريف وأبعدا

في الحال صديقاً ثم يتغير قال وهذا الذي نختاره ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا يتغير عاقبته فتلحق هذه المسألة بما ذكرناه من أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي .

فصل
في منثور حكايات في المواهب والكرامات

أما الكرامات فتقدم بيان حدها وأما المواهب فجمع موهبة وهي أمر ليس بخارق للعادة ولكنه قليل مستبعد في العادة يتميز به بعض الناس ولا يختص ذلك بالأولياء بل يكون لهم ولغيرهم وأنا أذكر في هذا الباب جملاً من الكرامات والمواهب المستحسنة إن شاء الله تعالى قال الله تعالى ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ وقال تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .

أخبرنا شيخنا الشيخ الإمام الصالح القاضي أبو محمد عبدالرحمن بن الشيخ الإمام الصالح أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة قال حدثنا أبو جعفر عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد قال حدثنا أبو الفتح عبدالملك بن أبي القاسم الكروخي قال حدثنا أبو عامر محمود بن القاسم بن محمد الأزدي وأبو بكر أحمد بن عبدالصمد الخزرجي وأبو نصر عبدالعزيز بن عمر الرفاني قال حدثنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد بن عبدالله بن الجراح الجراحي قال حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي قال حدثنا الإمام أبو عيسى الترمذي قال حدثنا عمران بن حفص حدثنا عبدالله بن وهب عن عمر بن الحارث عن دراج عن أبي القاسم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة قال الترمذي حديث حسن .

وبهذا الاسناد إلى الترمذي قال حدثنا علي بن حجر قال حدثنا مسلمة بن عمرو قال كان عمر بن هانىء يصلي كل يوم ألف سجدة يعني ألف ركعة ويسبح مائة ألف تسبيحة . أخبرنا شيخنا أبو البقاء الحافظ قال حدثنا أبو

محمد حدثنا أبو بكر حدثنا الخطيب حدثنا الحسن بن محمد البزار حدثنا محمد بن جعفر الآدمي حدثنا محمد بن موسى الشطوبي حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة عن عثمان عن عطاء عن أبيه قال قالت امرأة أبي مسلم يعني الخولاني يا أبا مسلم ليس لنا دقيق قال عندك شيء قالت درهم بعنابه غزلا قال أبعينيه أي أعطينيه وهاتي الجراب فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام فوقف عليه سائل وقال يا أبا مسلم تصدق علي فهرب منه وأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال تصدق علينا فلما أضجره أعطاه الدرهم ثم عمد إلى الجراب فملأه من نحاتة النجارين مع التراب ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب وقلبه مرعوب من أهله فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب فلما فتحته إذا هي بدقيق حواري فعجنت وخبزت فلما ذهب من الليل الهوى جاء أبو مسلم فنقر الباب فلما دخل وضعت بين يديه خوانا وأرغفة حواري فقال من أين لكم هذا فقالت يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به فجعل يأكل ويبكي قلت ما أنفس هذه الحكاية وأكثر فوائدها . قوله الجراب بفتح الجيم وكسرها لغتان الكسر أفصح قوله الحواري هو بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء وتخفيف الياء وهو الأشهر وقوله الهوى هو بكسر الواو وتشديد الياء وأما الهاء فتفتح وتضم لغتان الفتح أفصح وأشهر هو قطعة في الليل قبل نحو ربعه أو ثلثه . وقوله خوانا هو بضم الخاء وكسرها لغتان الكسر أفصح وأشهر وهو عجمي معرب وجمعه اخونة وخون . وأما أبو مسلم صاحب هذه الكرامة فاسمه عبدالله بن ثوب بثاء مثلثة مضمومة ثم واو مفتوحة مخففة ثم باء موحدة ويقال ابن ثواب ويقال ابن أثوب ويقال ابن عبدالله ويقال ابن عوف ويقال ابن يسلم ويقال اسمه يعقوب بن عوف والصحيح المشهور ما قدمناه وهو من أهل اليمن سكن الشام بداريا بالقرية المعروفة بجانب دمشق وكان من كبار التابعين وعبادهم وصالحهم وأهل الكرامات الظاهرات والأحوال السنية المتظاهرات وكان قد رحل إلى رسول الله ﷺ ليصحبه فتوفي النبي ﷺ وهو في الطريق فجاء ولقي أبا بكر الصديق وعمر وغيرهما من الصحابة . ومن نفائس كراماته ما رواه الامام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد له أن أبا مسلم الخولاني مر

بدجلة وهي ترمي الخشب من برها فمشي على الماء ثم التفت إلى الصحابة فقال هل تفقدون من متاعكم شيئاً فتدعوا الله عز وجل. ورواه من طريق آخر وفيه أنه وقف على دجلة ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر آلاءه وذكر سير بني اسرائيل في البحر ثم نهر دابته فانطلقت تخوض في دجلة واتبعها الناس حتى قطعها الناس . وبإسناد الامام أحمد أيضاً أن أبا مسلم كان بأرض الروم فبعث الوالي سرية ووقت لهم وقتاً فأبطأوا عن الوقت فاهتم أبو مسلم بإبطائهم فبينما هو يتوضأ على شط نهو وهو يحدث نفسه في أمرهم إذ وقع غراب على فأرة مقابلة فقال يا أبا مسلم اهتممت بأمر السرية فقال أجل فقال لا تهتم فإنهم قد غنموا وسيردون عليكم يوم كذا في وقت كذا فقال له أبو مسلم من أنت يرحمك الله فقال أنا مفرح قلوب المؤمنين فجاء القوم في الوقت الذي ذكر على ما ذكر . وبإسناد أحمد أن أبا مسلم كان جالساً مع أصحابه في أرض الروم يحدثهم فقالوا يا أبا مسلم قد اشتهينا اللحم فلو دعوت الله تعالى فرزقنا فقال اللهم قد سمعت قولهم وأنت على ما سألوا قادر فما كان إلا أن سمعوا صياح العسكر فإذا بظبي قد أقبل حتى مر بأصحاب أبي مسلم فوثبوا إليه فأخذوه . وبإسناد أحمد أن الناس قحطوا على عهد معاوية فخرج يستسقي بهم فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية لأبي مسلم قد ترى ما حل بالناس فادع الله تعالى قال افعل على بعض شرط فقام وعليه برنس فكشف البرنس عن رأسه ثم رفع يديه ثم قال اللهم إنا منك نستمطر وقد جئت إليك بذنوبي فلا تخيبني عندك لي خير فاقبضني إليك وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم يوم الخميس المقبل رضي الله تعالى عنه . وبإسناد الحافظ إلى طاهر السلفي عن شرحبيل بن مسلم أن الأسود بن قيس العنسي الكذاب لما ادعى النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني فلما جاءه قال أتشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد أن محمداً رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيم فأججت فألقى فيها أبا مسلم فلم تضره فقيل انفه عنك وإلا أفسد عليك من تبعك فأمره بالرحيل فأتي أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد

فقام يصلي إلى سارية فبصر به عمر فقام إليه فقال ممن الرجل فقال من أهل اليمن قال فلعلك الذي حرقه الكذاب بالنار قال ذلك عبدالله بن ثوب قال نشدتك الله أنت هو؟ قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكى ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم ﷺ خليل الرحمن قلت هذا من أجل الكرامات وأنفس الأحوال الباهرات وقوله لا أسمع يحتمل وجهين أحدهما معناه لا أقبل الثاني أنه على ظاهره وأن الله تعالى سد مسامعه عن هذا الباطل الشديد الفحش. وقد اقتصر بعض الأئمة على الاحتمال الأول والاحتمال الثاني عند أظهر. وقال أحمد بن أبي الحواري في كتاب الزهد له حدثني سليمان كان عبدالواحد بن زياد رضي الله تعالى عنه أصابه الفالج فسأل الله عز وجل أن يطلقه في أوقات الوضوء فكان إذا كان وقت الوضوء قام من سريره حتى يذهب فيتوضأ فإذا عاد إلى سريره عاد إليه الفالج والله أعلم. وروينا بإسنادنا السابق للقشيري رحمه الله قال سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول دخلنا تستر فرأينا في قصر سهل بن عبدالله رحمه الله بينا كان الناس يسمونه بيت السباع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا كانت السباع تجيء إلى سهل فكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم ثم يخليها. قال أبو نصر ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا وهم الجمع الكثير. وبه إلى القشيري قال سمعت أحمد بن محمد اليمني يقول سمعت عبدالله بن علي الصوفي يقول سمعت حمزة بن عبدالله العلوي يقول دخلت على أبي الخير التيناتي رحمه الله وكنت اعتقدت في نفسي أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاماً فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً وإذا به أتى خلفي وقد حمل طبقاً عليه طعام وقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك قال وأبو الخير هذا مشهور بالكرامات.

حكي عن إبراهيم الرقى قال قصدته مسلماً عليه فصلى المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت إليه وقلت أن الأسد قصدني فخرج وصاح على

الأسد وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد .
قلت قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده ان صلاة أبي الخير هذا كانت فاسدة لقوله لم يقرأ الفاتحة مستوياً وهذه جهالة وغباوة ممن يتوهم ذلك وجسارة منه على إرسال الظنون في أولياء الرحمن فليحذر العاقل من التعرض لشيء من ذلك بل حقه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة ولطائفهم المستجادة أن يتفهمها ممن يعرفها وكل شيء رأيته من هذا النوع مما يتوهم من لا تحقيق عنده أنه مخالف ليس بمخالف مخالفاً بل يجب[1] تأويل أفعال أولياء الله تعالى وجواب هذا من ثلاثة أوجه « أحدها » أنه جرى منه لحن لا يخل بالمعنى ومثل هذا لا يفسد الصلاة بالاتفاق « الثاني » أنه مغلوب على ذلك بخلل في لسانه فتصح صلاته بالاتفاق « الثالث » أنه لو لم يكن له عذر فقراءة الفاتحة ليست بمتعينة عند أبي حنيفة وطائفة من العلماء ولا يلزم هذا الولي أن يتقيد بمذهب من أوجبها ورأيته بخط الشيخ رضى الله تعالى عنه ,

---

(١) قوله يجب تأويل أفعال أولياء الله ومن أين لنا أن نعرف أنهم أولياء الله ما داموا لا يحسنون العبادة ولا يؤدون الصلاة على الوجه المشروع وكيف يجوز لنا ترك الشريعة لأجل شخص يدعي الولاية والقرب من ربه ولا يعرف تادية ما أمر به من العبادة ؟ ولا أدري ماذا أقول والمصنف من أركان مذهب الشافعي وأهل الترجيح ؟ الذي تميل إليه النفس إن هذه العبارة مدسوسة على النووي رحمه الله لأن الأجوبة التي أتى بها غير كافية فاما الجواب الأول وهو كونه لا يخل المعنى فإن كان عامداً فقد استخف بكلام الله ولم يهتم بحفظ أم الكتاب وفاتحته وإن كان غير عامد فلا يصلح للولاية من لم يتعلم قراءة فاتحة الكتاب وأما الجواب الثاني وهو دعوى وجود خلل بلسانه فإنه غير واف بالمرام لأن مثل هذا لا يعترض عليه العامي فضلاً عن أهل العلم إذ ليس في مقدوره أن يقوم لسانه وأما الجواب الثالث فإنه بعيد عن الحقيقة لأن مذهب أبي حنيفة وإن لم يقل بفرضية قراءة الفاتحة فقد قال بوجوبها وإن إعادة الصلاة واجبة في الوقت إذا لم يقرؤها وأنه آثم بتركها لارتكابه كراهية التحريم التي هي أقرب استفادة من شهرة المؤلف العلمية لتكون لجهلة المتصوفة ردءاً وحجة . والحق أن الاعتراض على كل ما خالف الشرع لا بد منه ولا ينفعهم التملص من مخالفة المشروع متمسكين بحبل موهوم : الولاية هي تقوى الله وعبادته فعدم تاديتها على الوجه اللائق لا يتناسب مع دعوى الولاية وعليه أن يتعلم أمور دينه ولو أراد الله به خيراً لعلمه كيف يعبده فقد جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة .

باب

في حكايات مستظرفة

اعلم أن هـذا الباب وإن لم يكن من أبـواب الزهـد فهـو ممـا تستـريـح النفس به إذا ملت وكان الزاهد قد يحتاج إلى أحاديث غيره مما لا يؤثر الـزهد ولا يفهم كثيراً فربما يتحدثـوا في أمور النـاس وانجر بهم الكـلام إلى الحديث في حـرام من غيبـة . ونحـوهـا فـإذا اشتغلوا بهـذا انبعثت نفـوسهم لسمـاعـه واشتغلوا به عن غيره من القبيح ومع هذا فلا تخلو هذه الحكايات التي أذكرهـا إن شاء الله تعالى من فوائد ينتفع بها طـالب الآخرة وبـالله التوفيق . روينـا عن أبي حاتم الرازي الامام أحد أركان الحديث قـال حضرت مجلس سليمـان بن حـرب رحمه الله ببغـداد فحزروا من حضـر مجلسـه أربعين ألف رجـل وكـان مجلسه عند قصر المأمون فبنى له منبر وصعد سليمان وكان المأمون فوق قصره وقد فتح باب القصر وقد أرسل ستـراً وهو خلفـه يكتب ما يملي سليمـان فسئل عن أول شيء حدثت حوشب بن عقيل فلعله قد قـال حدثنـا حوشب بن عقيـل أكثر من عشر مرار وهم يقولـون لا تسمع حتى قـالوا ليس الـرأي إلا أن يحضر المستملي فذهب جماعة فأحضروه فلما حضر قال من ذكرت فإذا صوته خلاف الرعد فسكتوا وقعد المستملون كلهم وإستملى هارون قال أبوحاتم لا يسأل عن حديث الاحدث من سمعه . وذكر أبو سعيد السمعـاني أنه كـان يحضر مجلس امـلاء الامام القـاضي أبو عبـدالله المحاملي عشـرة آلاف رجـل . رأيت بخط الشيخ رحمه الله في مواضع مفرقة سمعت شيخنـا وسيدنـا الامام الحـافظ زين

الدين رضي الله تعالى عنه مرتين آخرهما يوم الاربعاء الثالث من شهر رمضان المعظم سنة سبع وخمسين وستمائة يقول وعظ الشيخ الجليل شهاب الدين السهروردي رضي الله تعالى عنه بدمشق حماها الله تعالى وصانها فقرأ القرآن الأعز بن إبراهيم بن محمد الممدوح بن علي الربيني بن عبدالله الجواد بن جعفر فتواجد الشيخ وخلع أثوابه فاشتراه منهم جمال الدين للتبرك بخمسمائة درهم . وكان رضي الله عنه لا يضيع من أوقاته شيئاً بل لا يزال مشتغلاً بالصلاة والقراءة والذكر رضي الله تعالى عنه . وكان شيخنا رضي الله عنه قد لبس منه خرقة وصحبه مدة في بغداد بالرباط رضي الله تعالى عنهما سمعت شيخنا وسيدنا الامام الصالح العارف بقية شيوخ الطريقة شرف الدين أبا إسماعيل محمد بن إبراهيم بن صري بن هرماس بن نجار بن عقيل بن جابر بن حكام بن حكمة بن يوسف بن جعفر الطيار بن أبي طالب وهذا نسبه أملانيه يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة بالمدرسة الرواحية بدمشق حماها الله تعالى وصانها سمعته يقول عن الشيخ الفقيه الامام الصالح محمد البرسي قال نظر الحافظ عبدالغني ونحن جماعة فيهم جماعة يفتون فلما وضع رجله على درجة الكرسي قلت في نفسي بأي شيء فضلك الله علينا فالتفت إلي وقال يا مدبر من خدم خدم من خدم خدم من خدم خدم فقلت آمنت بالله . وسمعت سيدنا الشيخ كمال الدين سلار حفظه الله تعالى يحكى عن بعض الفقهاء أنه وضع المهذب تحت رأسه ونام فاحتلم في منامه ورأى الشيخ أبا إسحاق مصنف المهذب في المنام فدفعه برجله وقال له اقعد ما يكفيك أنك وضعت المهذب تحت رأسك ثم صرت جنباً أو كما قال سمعت شيخنا وسيدنا الامام الفاضل والعلامة البارع عزالدين أبا جعفر عمر بن أسعد بن أبي غالب الايلي المفتي الشافعي رحمه الله يوم الثاني من شعبان سنة تسع وخمسين وستمائة بالمدرسة الرواحية بدمشق حماها الله وصانها وسائر بلاد الاسلام وأهلها آمين يقول قال لي بعض الفقهاء كتب الشيخ كتاب نهاية المطلب وكان لي عادة أن أكتب في الليل أوراقاً معلومة فكنت ليلة اكتب فنظرت إلى السراج فوجدت زيته قليلاً لا يكفيني لتمام الوظيفة قال واشتغلت

بـالكتـابـة وذهلت عنهـا فمـا ذكـرت ذلـك حتى كتبت الـوظيفـة فعـددت الأوراق فلما فرغت من عددها وذكرت دعائي فنـظرت إلى السراج فـانطفأ مع نظري إليه أو كما قال توفي إلى رحمة الله تعـالى ورضوانـه الشيخ الفقيـه نجم الـدين عيسى الكردي الشـافعي سنة ست وخمسين وستمـائة أظنـه في شعبـان وكان فقيهاً بالمدرسة الرواحية صانها الله تعالى بمدينة دمشق حماها الله تعـالى وصرف عنها كل قاصد لها بسوء وأدامها دار الاسلام أبداً وسـائر بـلاد الاسلام وأهلها فرأيته في المنام بعد موته بأيام ليلة الجمعة وعرفت أنه قد مات فسلمت عليه وقلت له أحييت يا نجم الدين وجئت وقلت له قد قـال الغزالي في كتـاب الموت من كتاب احيـاء علوم الدين إن المـوت أمر عـظيم ولم يأتنـا أحد بعـد الموت يخبرنـا عن حقيقته ولا يعـرف حقيقته إلا من ذاقـه ثم قلت أخبرنـا عن حقيقة الموت فقال هو وإن كـان صعباً لكنـه لحظة يسيـرة ثم تنقضي قلت فما كان حالك بعده فقـال هناك يعني عنـد الله تعالى خيـر كثير كـأنه يشيـر إلى أن حـالته حسنـة بفضل الله تعـالى وإن رحمة الله تعـالى مؤخـرة أو كمـا رأيت .

ومات في هذه السنة الفقيه شمس الـدين محمد النـووي رضي الله تعالى عنـه وعليه قرأت الختمة الشريفة فرأيتـه في المنام رحمـه الله بعد مـوته فعـرفت أنه ميت فقلت له ما حـالك يـا شمس الدين أنت في الجنـة فقال اليـوم لا ندخـل الجنة بل نتنعم في غيرها يعني وانا لا ندخل الجنة إلا بعـد قيام السـاعة فقلت له صدقت فـإنه لا يـدخل الجنـة اليوم إلا الأنبيـاء صلوات الله وسلامـه عليهم والشهداء واما غيرهم فينعم في غيرها قبل مجيء الآخرة ثم يدخلون الجنة بعد قيام الساعـة كما جـاءت الشريعـة . ثم قلت له قـد جاء أن الـروح ترجـع إلى البدن قبل مسألة منكر ونكير قبل رجوعها إلى الجسد بعـد الوضـع في القبر أو قبله في حـال حمل الميت في النعش فقـال بعد الـوضـع في القبـر رحمـه الله وإياي ووالدينا ومشايخنا ومن نفعنا وأصحابنا ومن أسـأنا إليـه وسـائـر المسلمين آمين .

سمعت صـاحبنا الشيـخ الإمام الـزاهد الـورع العارف شمس الـدين يوم الثـلاثاء الحـادي والعشرين من جمـادي الأولى سنـة إحـدى وستين وستمـائـة

بالخانقاه السميصاتية بدمشق حماها الله تعالى يقول جرى من أيام يعني قليلة كلام بين شيخين إمامين من أصحابنا شهود ما عينهما لي لا أؤثر أنا ذكرهما قال وجرى بينهما مباحثة في أن القرآن في المصاحف والصدور لا على سبيل الحلول كما قاله أصحابنا وأن نفس الحبر المكتوب ليس هو الكلام القديم بل دال عليه ثم أنهما طلبا الارشاد لامام الحرمين لينظرا ما ذكر فيه فنظراه ثم انصرفا فرأيت في تلك الليلة كأن بحراً في وسطه شيء وذلك الشيء هو مطلوب الناس وجميع علماء المسلمين يحيطون به ينظرون إلى ذلك الشيء شاخصون إليه لا يدرون ما هو ولا يدركونه قال ورأيت إمام الحرمين دخل بين الناس وشمر ثوبه ودخل في ذلك البحر نحو خمسة عشر ذراعاً ثم لم يقدر على مجاوزة فوقف هناك كما هو وسائر العلماء كما هم يحيطون بالبحر ناظرون إلى ذلك الشيء قال ووراء العلماء خلق كثير ممن كان يشتغل بعلوم الأوائل أعني العلوم العقلية كعلم الهيئة وعلم المنطق وأصول الدين ومن كان يشتغل بالخلاف ممن ينسبون إلى قلة الدين وترك الصلاة وسوء الاعتقاد وهم من أعرفهم فرأيتهم كلهم وراء الناس وهناك كلاب تبول على جميعهم وعين لي منهم إنسان أعرفه أنا ممن كان فنه الخلاف حسب ونسب إلى قلة الدين لا أؤثر أنا تعيينه قال رأيته سكران أو كما قاله شرف الدين نسأل الله الكريم المنان ذا العظمة والسلطان والفضل والامتنان الرؤوف الرحمن أن يحسن العاقبة لنا ولوالدينا ومشايخنا وأصحابنا ومن نحب والمسلمين أجمعين آمين .

قال الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الانسان ختم الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة ومات سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وذكرالسمعاني في الأنساب أن أبا يعقوب إسحاق بن ممشاد الزاهد الكرامي كان حسن الوعظ فأسلم على يده خمسة آلاف رجل وامرأة من أهل الكبائر والمجوس . وروينا عن الإمام أبي بكر الأنباري قال سمعت أحمد بن يحيى يعني أبا العباس يقول سمعنا من القواريري مائة ألف حديث يعني بالقواريري عبدالله بن عمر بن ميسر أبا سعيد الحشمي مولاهم البصري ثم البغدادي ورأيت بخط الشيخ رحمه الله تعليقاً في مواضع متفرقة

سمعت شيخنا القاضي الإمام مجموع أنواع المحاسن بقية الشيوخ والعلماء بدر الدين أبا عبدالله محمد بن إبراهيم بن خلكان الاربلي الشافعي رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء السادس عشر من رجب سنة ستين وستمائة يقول رأيت امرأة يظنها قال صالحة ومعناه حفظت القرآن العزيز كله في سبعين يوماً سمعت شيخنا قاضي الاسلام كمال الدين سلار رضي الله تعالى عنه يقول حفظت التنبيه في أربعة أشهر سمعت شيخنا البتليسي حفظه الله مرات يقول أحصيت كتب الغزالي رحمه الله تعالى التي صنفها ووزعت على عمره فخصت كل يوم أربع كراريس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قلت ومن المشهودين بكثرة التصنيف أمامنا الامام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي والإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنهما وقد عدد الامام أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى مصنفات الشافعي وعدد الامام حافظ الشام بل حافظ الدنيا أبو القاسم المعروف بابن عساكر رضي الله تعالى عنه في كتابه تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري تصانيف الأشعري أنها نحو ثلثمائة تصنيف سمعت شيخنا وسيدنا الامام الجليل والسيد النبيل الحافظ المحقق والمقتبس المدقق الضابط المتقن والمشفق المحسن الورع الزاهد والمجتهد العابد بقية الحفاظ المفتي شيخ الأئمة والمحدثين ضياء الدين أبا إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي يقول في يوم الأربعاء السابع في شوال ثمان وخمسين وستمائة بالمدرسة البادرانية بدمشق حماها الله وصانها قال سمعت الشيخ عبدالعظيم رحمه الله يقول كتبت بيدي تسعين مجلدة وكتبت سبعمائة جزء كل ذلك من علوم الحديث تصنيف غيره وكتب ذلك من مصنفاته وغيرها أشياء كثيرة قال شيخنا ولم أر ولم أسمع أحداً أكثر اجتهاداً منه في الاشتغال كان دائم الاشتغال في الليل والنهار وقال وجاورته في المدرسة يعني بالقاهرة حماها الله بيتي فوق بيته اثني عشر سنة فلم استيقظ في ليلة من الليالي في ساعة من ساعات الليل إلا وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشتغل بالعلم وحتى كان في حال الأكل والكتاب والكتب عنده يشتغل فيها وذكر من تحقيقه وشدة بحثه وتفننه ما أعجز عن التعبير عنه قال وكان لا يخرج من المدرسة لا لعزاء ولا لهناء ولا لفرجة ولا لغير ذلك إلا لصلاة الجمعة بل

يستغرق الأوقات في العلم رضي الله تعالى عنه وعن والدنيا والمسلمين سمعت شيخنا ضياء الدين رضي الله عنه يقول كتبت صحيح البخاري في ست مجلدات بقلم واحد ولكن كنت أبريه وكتبت بذلك القلم أشياء بعد البخاري وذلك بمدينة القاهرة حماها الله تعالى . قال ابن قتيبة في أدب الكاتب بريت القلم أبريه برياً قال أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب ختم الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني في الطواف اثني عشر ألف ختمة ومات سنة اثنتين وعشرين وثلثماية .

كرر على حديثهم يا حادي * فحديثهم يجلي الفؤاد الصادي

سمعت شيخي وسيدي الإمام العلامة المفتي المدقق المتقن مجموع أنواع المحاسن عزالدين أبا حفص عمر بن أسد بن أبي غالب الاربلي الشافعي رضي الله تعالى عنه مرات آخرها يوم الجمعة الرابع والعشرين من رجب سنة تسع وخمسين وستمائة يقول كل عامل لله عز وجل بطاعة فهو ذاكر لله عز وجل ثم رأيت ذلك منقولاً في شرح السنة لأبي محمد البغوي منقولاً عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه .

هذا آخر ما وجد رضي الله تعالى عن مؤلفه ولي الله الشيخ محيي الدين النووي رضي الله تعالى عنه وعنا وعن والدينا ومشايخنا وأصحابنا وجميع المسلمين والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاما متلازمين إلى يوم الدين .

الفهرس

رقم الإيداع	١٩٨٧ / ٩٠٣٩
الترقيم الدولى	ISBN

٢ / ٨٧ / ٦٨٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)